عرش الرحمن

تأليف شيخ الاسلام

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية

تحقيق

سعد كريم الدرعمى



قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ سورة طه آية ٥

وقال عبد الله بن رواحه :

شهدت بأن وعد الله حق

وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف

وفوق العرش رب العالمين

وتحمله ملائكة شداد

ملائكة الإله مسومينا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

إن أصدق الكلام كتاب الله عز وجل وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله وكل ضلالة فى النار وما قل وكفى خير مما كثر وألهى وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين .
أما بعد :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الحج آية ١ - ٣ .

ثم أما بعد ،

فإن صفات الله تعالى التى ثبتت بالعقل والشرع لا يمكن نفيها ويجب الايمان بها كما وردت بلا تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل فالناس قد ضلوا فى ذلك إما بسبب التشبيه فى هذه الصفات والتكييف وإما بسبب تعطيلها ونفيها عن ذات الله تبارك وتعالى . وصفات الله عز وجل إما صفات ذاته كالحياة والعلم والعظمة وغيرها وهى لازمة له أزلاً وأبداً .

وإما صفات فعله كالإستواء والمجئ والنزول إلى السماء الدنيا وغيرها .

وهى تحدث حسب مشيئته وقدرته سبحانه وتعالى وقد ذهب الناس تجاه هذه الصفات مذاهب شتى فمنهم من أثبتها ولكنه أعمل العقل فيها بالتشبيه والتكييف وهؤلاء قد ضلوا وأضلوا وهم المشبه والكراميه فقد أجروا الصفات على ظاهرها دون تفريق بين الخالق والمخلوق .

ومنهم من أثبت هذه الصفات لله تبارك وتعالى ولكن بصورة تليق بجلاله سبحانه وتعالى فقالوا أن الله عز وجل له يد لكن ليست كأيدينا وله عين ولكن ليست كالتى للمخلوقين وهكذا .

وعندما سئل الإمام مالك عن الاستواء أثبت ذلك ولم ينفه ولم يكفيه فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب.

فالله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾ سورة الشورى آية ١١ .

* ومن الناس من ذهب إلى نفى صفات الله تبارك وتعالى وهؤلاء أمثال الجهمية والأشاعرة والمعتزله ومن نهج منهجهم .

ولذا وجدنا أهل السنه والجماعة يقفون لهم بالمرصاد قال أبو عمر بن عبدالله أحد أئمة المالكية : أهل السنه مجموعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن الكريم والسنه والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك .

ومن هذه الصفات التى دار حولها جدلاً كثيراً صفة الإستواء . فذهب البعض إلى تعطيل هذه الصفة وذهب آخرون إلى تكيفها وتشبيهها باستيلاء المخلوقين وذهب أهل السنة والجماعة إلى اثباتاها ولكن بصورة تليق بجلال الله سبحانه .

ومن أقوال الإمام أبى حنيفة : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ أى علا وقال آخرون أى ارتفع .

فالاستواء إذاً ثابت لله تبارك وتعالى حقيقة فهو مستو على عرشه بمعنى أنه عال ومرتفع عليه من غير حاجة منه سبحانه وتعالى إليه لأنه هو الذى خلقه وجعله أعلى المخلوقات ثم استوى عليه تبارك وتعالى .

وقد تواترت الأدلة النقلية والعقلية فى اثبات هذه الصفة لله تبارك وتعالى .

* * *

التعريف بالمؤلف

اسمه ومولده

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبدالله بن أبى القاسم الحرانى ابن تيمية الإمام العلامة ، والمفسّر ، الفقيه ، المجتهد ، المحدّث ، الحافظ ، شيخ الإسلام نادرة العصر ، ذو التّصانيف الكثيرة جداً ، تقىّ الدين أبى العباس ، ابن العالم المفتى شهاب الدين ابن الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبى البركات مؤلف كتاب الأحكام ، أما اسم تيمية فهو اسم أم جدّه الأعلى وكانت على ورع وتقوى فلذلك لقب بها .

ولد بمدينة حرّان (وهى تقع فى الشّمال الشّرقى من القطر العربى السّورىّ) فى العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ وانتقل به أبوه إلى دمشق سنة ٦٦٧ هـ إثر هجوم التتار على بلدتهم حرّان .

بدت عيه سيما الذّكاء والفطنة ، فأُذنَ له بدخول المجالس والمحافل وهو بعدُ صغير ، فتكلم وناظر وأتى بما حيّر أَعيان البلد حينذاك ، فقال قاضى القضاة محمد بن الحافظ الزّملكانى : كان إذا سُئل عن فَنّ من الفنون ظنّ الرّائى والسّامع أنه لا يعرف غيره .

فلازم العلماء والشّيوخ حتى حفظ كتاب الله ، وسمع الحديث من أئمته ، وتعلم الفقه وقرأ العربيّة ، وبرع فى النّحو ، وأقبل إقبالاً كُليّاً حتى حاز قصب السّبق ، وأحكم أصول الفقه ، والكثير من العلوم الأخرى . كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة ، حتى أعجب العلماء من ذكائه ، وقوة ذهنه وحافظته ، وسرعة إدراكه .

ثم نظر فى الرجال والعلل . وصار من أئمة النّقد ومِن علماء الأثر ، ثم غاص فى دقائق الفقه ، ونظر فى أدلته وقواعده وحججه والإجماع

والاختلاف ، حتى كاد يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة فى الخلاف استدل ورجح واجتهد .

كذلك نشأ في تصوف تام وعفاف ، واقتصاد فى الملبس والمأكل ، ولم يزل على ذلك خلقاً صالحاً ، براً بوالديه ، تقياً ، ورعاً ، عاداً ، ناسكاً ، صواماً قواماً ، من الذاكرين ، إلى أن توفاه الله تعالى مجاهداً صابراً فى سجن القلعة فى دمشق .

أقوال بعض العلماء فيه :

والله ما يبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى ..

قال هذه الكلمات : قاضى القضاة محمد عبد البر السبكى .

ونقل عن التاج السبكى قوله :

« سمعت شيخنا الذهبى يقول : ما رأيت أحداً فى هذا الشأن (علم الحديث) أحفظ من الإمام أبى الحجاج المزى ، وبلغنى أنه قال : ما رأيت أحفظ من أربعة : ابن دقيق العيد ، والدمياطى ، وابن تيمية، والمزى ..

« وقال عنه الإمام الشوكانى فى « البدر الطالع » :

هذه قاعدة مطردة فى كل عالم يتبحر فى المعرف العلمية ، ويفوق أهل عصره ، ويدين بالكتاب والسنة ، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ، ويقع له معهم محخنة بعد محنة ، ثم يكون أمره الأعلى ؛ وقوله الأولى ، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق فى الآخرين ويكون لعلمه حظ لا يكون لغره ، وهكذا حال هذا الإمام فإن بعد موته عرف النّاس مقداره ، واتفقت الألسن بالثناء عليه ، إلا من لا يعتد به ، وطارت مصنفاته ، واشتهرت مقالاته .

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة جداً منها الفتاوى الكبرى التى لا غنى لطالب العلم عنها

والاحتجاج بالقدر وحقيقة الصوم والكلم الطيب وغيرها كثير .

وفاته :

وتوفي سنة ٧٢٧ هـ وهو في سجن القلعة بدمشق توفى إلى رحمته تعالى ودفن في باب الصّغير جنوبي دمشق .

وكتب

سعد كريم الفقي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

التعريف بالعرش

لغـــــة :

والعرش فى اللغة عبارة عن السّرير الذى للملك ، كما قال تعالى عن بلقيس ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾[١] ، وليس هو فَلَكاً ، ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقرآن الكريم إنما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبّة على العالم ، وهو سقف المخلوقات .

فمن شعر عبدالله بن رواحة[٢] :

شَهِدْتُ بأَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ ... وأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرينَا

وأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا

وَتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلائِكَةُ الإِلَهِ مُسَوَّمِينَا[٣]

---

(١) سورة النحل الآية ٣

(٢) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس يكنى أبا محمد أحد النقباء الاثنى عشر شهد العقبة مع السبعين وبدراً وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء واستخلفه الرسول ﷺ على المدينة فى غزوة بدر الموعد (انظر صفة الصفوة)

(٣) الأبيات من بحر الوافر ، ومسومين أى معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات

الآيات الكريمة التي ورد بها ذكر العرش

عرش الرحمن

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾(١) .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٢) .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لأَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾(٣) .

﴿ تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾(٤) .

و﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا

---

(١) سورة الأعراف الآية ٥٤ .

(٢) سورة يونس الآية ٣ .

(٣) سورة الإسراء الآيات ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) سورة طه الآيات ٤ ، ٦ .

يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾(١) .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾(٢)

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٣) .

﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً .... تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَراً مُّنِيراً ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾(٤) .

﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(٥) .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٦) .

﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(٧) .

(١) سورة الأنبياء الآيات ١٩ ـ ٢٣ .
(٢) سورة المؤمنون الآية ٨٦و٨٧ .
(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٦ .
(٤) سورة الفرقان الآيات ٥٩ ـ ٦٢ .
(٥) سورة النمل الآية ٢٥ ، ٢٦
(٦) سورة السجدة الآية ٤ و ٥ .
(٧) سورة الزمر الآية ٧٥

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾(١).

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾(٢) .

﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾(٣) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٤) .

﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾(٥) .

﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾(٦) .

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾(٧) .

* * *

(١) سورة غافر الآية ٧ .

(٢) سورة غافر الآية ١٥ .

(٣) سورة الزخرف الآية ٨٢ .

(٤) سورة الحديد الآية ٤ .

(٥) سورة الحاقة الآية ١٦ ، ١٧ .

(٦) سورة التكوير الآية ٢٠ .

(٧) سورة البروج الآيات ١٤ ، ١٦ .

ما ورد من أحاديث شريفة وأقوال مأثورة عن عرش الرحمن

عن أنس رضى الله عنه أن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ كانت تفخر على أزواج النبى ﷺ تقول :

زوّجكنّ أهاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات ، وفى لفظ : زوجنيك الرّحمن من فوق عرشه[١] .

عن سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ قال لسعد بن مُعاذ :

« لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات »[٢] .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى سبقت غضبى »[٣] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصّلاة ، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يُدخله الجنّة هاجر فى سبيل الله ، أو جلس فى أرضه التى ولد فيها » .

قالوا : يارسول الله ، أفلا نبشّر النّاس بذلك ؟ .

---

(١) وهذا يستحق الفخر كل الفخر وهو اشارة الى قوله تعالى فى سورة الأحزاب الآية ٣٧ ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولاً ﴾

(٢) حديث صحيح متفق عليه

(٣) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم

قال : « إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيله ، بين الدرجتين كما بين السَّماء والأرض ، إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنَّة ، وأعلى الجنَّة ، وفوقه عرش الرَّحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة »[1] .

عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال :

« الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السَّماء والأرض ، والفردوس أعلاها درجة ، ومن فوقها العرش ، فإذا سألْتُمُ الله فاسألوهُ الفردوسَ »[2] .

عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى : ﴿ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[3] ، قال :

أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقالوا : أرواحهم في أجواف طيرٍ خضر تسرح في الجنة في أيها شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل معلّقة بالعرش ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك اطلاعة فقال : سلوني ماشئتم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : إن الله تعالى يقول :

« أين المتحابون بجلالي ؟! اليوم أظلّلهم في ظل عرشي ، يوم لا ظلَّ إلا ظلي »[4] .

عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً قال : أُذن لي أن أحدِّث عن مَلَك من حملة العرش ، مابين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة سنة[5] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه ٤ / ١٩ والبيهقى فى السنن الكبرى ٩ / ١٥

(٢) رواه أحمد فى مسنده ٢ / ٢٩٢ وابو نعيم فى تاريخ أصفهان

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩

(٤) أخرجه البيهقى فى السنن ١٠ / ٢٣٣ والزبيدى فى اتحاف السادة المتقين .

(٥) رواه أبو داود فى سننه برقم ٤٧٢٧ وأبو نعيم وغيرهما .

ذراع وكانت تُعجبه ، فنهش منها ، ثم قال :

« **أنا سيد الناس يوم القيامة** »[1] وذكر الحديث إلى أن قال :

« **فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يُقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تُعطه ، واشفع تُشفَّع ، فأرفع رأسي فأقول : أمتي يارب أمتي ، فيُقال : يامحمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس في الأبواب** »

عن أبي ذَّر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن الآيتين من آخر سورة البقرة أوتيتهن من تحت العرش لم يؤتهما نبي قبلي** »[2] رواته ثقات .

عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً :

« **من أنظر مُعسراً ، أو وضع عنه أظلَّهُ الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله** » ، إسناده صالح[3] .

عن أبي ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« **يا أبا ذر ما السموات عند الكرسي إلا كحلقة ملُقاه بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على الحلقة** » [4] .

وقد حشد الإمام العلامة ابن أبي العزّ الحنفي في كتابه « شرح العقيدة الطحاوية » أدلّة علوّه جلّ شأنه واستوائه على عرشه فقال :

الأول : التصرح بالفوقية مقروناً بأداة «من» المعينة للفوقية بالذات ، كقوله تعالى :

---

(١) حديث صحيح متفق عليه رواه البخارى ٤ / ١٦٣ ومسلم (الاعيان برقم ٣٢٧)

(٢) أورده الألباني في مختصر العلو للقارى .

(٣) رواه الطبراني والحاكم ٢ / ٢٩ . باسناد صحيح .

(٤) رواه الهيثمي وابن عساكر والسيوطي وغيرهم .

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[1] .

الثاني : ذكرها مجردة عن الأدلة ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[2] .

الثالث : التصريح بالعروج إليه نحو ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[3] .

وقوله ﷺ : « **فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم** »[4] .

الرابع : التّصريح بالصعود إليه ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾[5]

الخامس : التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه ، كقوله تعالى : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[6] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[7] .

السادس : التصريح بالعلو المطلق الدّال على جميع مراتب العلوّ ، ذاتاً وقدراً وشرفاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[8] ، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرِ ﴾[9] ، ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[10] .

السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[11] ، ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[12] ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[13] ، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[14] .

﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾[15] ، ﴿ حمٓ ① وَالْكِتَابِ

---

(1) سورة النحل الآية ٥٠ .
(2) سورة الأنعام ١٨ .
(3) سورة المعارج الآية ٤ .
(4) جزء من حديث صحيح متفق عليه .
(5) سورة فاطر الآية ١٠ .
(6) سورة النساء الآية ١٥٨ .
(7) سورة آل عمران الآية ٥٥ .
(8) سورة البقرة الآية ٢٥٤ .
(9) سورة سبأ الآية ٢٣ .
(10) سورة الشورى الآية ٥١ .
(11) سورة الزمر الآية ١ .
(12) سورة غافر الآية ٢ .
(13) سورة فصلت الآية ٢ .
(14) سورة فصلت الآية ٤٢ .
(15) سورة النحل الآية ١١ .

الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾[١] .

الثامن : التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده ، وأن بعضها أقرب إليه من بعض ، ،كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾[٢] ، ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ ﴾[٣] ، ففرق بين « من له » عموما ، وبين «من عنده » من عبيده خصوصاً وقول النبي ﷺ في الكتاب الذى كتبه الرب تعالى على نفسه : « إنه عنده فوق العرش » .

التاسع : التصريح بأنه تعالى فى السماء ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون «فى » بمعنى « على » . وإما أن يراد بالسماء العلو ، لا يختلفون فى ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره .

العاشر : التصريح بالاستواء مقروناً بأداة « على » مختصاً بالعرش ، الذى هو أعلى المخلوقات ، مُصاحباً فى الأكثر لأداة «ثُمَّ » الدّالة على الترتيب والمهلة .

الحادى عشر : التّصريح برفع الأيدى إلى الله تعالى ، كقوله ﷺ : « **وإن الله يستحى من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً** »[٤] ،

والقول بأن العلوّ قبله الدعاء فقط باطل بالضرورة والفطرة ، وهذا يجده من نفسه كلُّ داع .

الثانى عشر : الإشارة إليه حسّاً إلى العلوّ ، كما أشار إليه مَنْ هو أعلم به، وبما يجب له ، ويمتنع عليه من جميع البشر ، لما كان الرسول ﷺ

---

(١) سورة الدخان الآيات ١ ، ٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٠٦ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٩ .

(٤) رواه السيوطى فى جمع الجوامع وأبو نعيم فى حلية الأولياء .

بالجمع الأعظم حجة الوداع ، فى اليوم الأعظم ، فى المكان الأعظم بيت الله الحرام ، قال لهم ﷺ :

« أنتم مسؤولون عنى ، فماذا أنتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد أنك قد بلّغت وأديّت ونصحت .

فرفع أصبعه الكريمة إلى السّماء ، رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شىء ، قائلاً ﷺ :

« اللهم أشهد »[1] .

فكأننا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهى مرفوعة إلى الله ، وذلك اللّسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه : **« اللهم أشهد »** ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين ، وأدى رسالة ربه كما أمر ، ونصح أمته غاية النصيحة ، فلا يحتاج مع بيانه ، وتبليغه ، وكشفه ، وإيضاحه إلى تنطّع المتأولين ، وحذلقة المتحذلقين ، بما يوافق آراء فلاسفة اليونان أو غنوصية الشرق .

الثالث عشر : التّصريح بلفظ « الأين » كقول الرسول ﷺ وهو أعلم الخلق بالله تعالى ، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح : بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه ، للجارية : **« أين الله ؛** قال : **« أعتقها فإنها مؤمنة »**[2] .

الرابع عشر : إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ، ثم يعود إلى موسى عليه السلام عدة مرات .

الخامس عشر : النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى من الكتاب الكريم ، والسّنّة الشّريفة ، وإخبار النبى ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر

---

(١) حديث صحيح متفق عليه البخارى (٥ / ٢٢٣) ومسلم برقم (١٣٠٧) .

(٢) حديث صحيح رواه مسلم .

ليلة البدر ليس دونه سحاب ، ولا يرونه إلا من فوقهم ، كما قال ﷺ : «**بينا أهل الجنة فى نعيمهم ، أذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الجبّار جل جلاله قد اشرف عليهم من فوقهم : وقال يا أهل الجنة ، سلامٌ عليكم ، ثم قرأ قوله تعالى :** ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[٢] ، ثم يتوارى عنهم ، وتبقى رحمته وبركته عليهم فى ديارهم[٣] .

ولا يتم إنكار الفوقيّة إلا بإنكار الرُؤية ، لذلك صدّق أهل السُنّة بالأمرين معاً ، وأقرُّوا بهما ، ولو بُسطت الأدلّة الأُخرى لبلغت نحو ألف دليل .

* * *

(١) سورة يس الآية ٥٨ .

(٢) حديث صحيح رواه ابن ماجة فى سننه باسناد صحيح .

العرش
أول المخلوقات

العرش والقلم :

هل العرش أول المخلوقات ؟ أم القلم ؟

العلماء في هذا على قولين ، أصحها : أنَّ العرش قبل القلم ، لما ثبت في الحديث الصحيح ، من حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال: قال رسول ﷺ : « **قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنَةٍ ، وعرشُهُ على الماء** »[١] .

فهذا صريحٌ أنَّ التقدير وقع بعد خلق العرش ،والتقدير وقع عند خلق القلم ، لحديث عُبادة بن الصامت رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له : اكتب ، قال : ياربِّ وما أكتُبُ؟ قال : اكتبْ مقادير كُلّ شيءٍ حتّي تقومَ الساعة** »[٢] .

ولا يخلو قوله : « أول ما خلق الله القلم » إما يكون جملة ، أو جملتين ، فإن كان جملة وهو الصحيح ـ كان معناه : أنه عند أوّل خلقه قال له : «اكتب » بنصب « أوّلَ » و« القلم » .

وإن كان جملتين فيتعين حمله على أنه أولُ المخلوقات من هذا العالم ، فيتفق الحديثان ، إذ حديثُ عبد بن عمرو صريح فى أن العرش سابقٌ على

(١) حديث صحيح أورده العجلونى فى كشف الخفاء : (٣١١/١) باسناد صحيح .

(٢) حديث صحيح أورده ابن أبى عاصم فى السنة : (٤٨/١) باسناد صحيح .

التقدير مقارن لخلق القلم ، وفى اللفظ الآخر : « لما خلق الله القلم قال له: اكتب » ، ويقال أنه القلم الذى أقسم تعالى به فى قوله : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[1] .

* * *

(١) سورة القلم الآية ١ .

العرش

ليس هو الكرسى

جاءت كلمة « كرسى» فى القرآن الكريم فى موضعين ، الأول : ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾[1] ، والثانى ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[2] .

ولا شك أن فى الموضع الثانى معناه : مكان جلوس الملك (النبى سليمان عليه السلام) .

أما فى الموضع الأول فللعلماء فيه أقوال :

فقد قيل: هو العرش ، والصحيح أنه ، نُقل ذلك عن ابن عباس [3] رضى الله عنهما وغيره .

وقيل : الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى . روى ذلك ابن أبى شيبة [4] فى كتاب « صفة العرش » والحاكم فى «المستدرك » ، قال : إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ . وقد روى مرفوعاً ، والصواب أنه موقوف على ابن عباس[5] .

وقال السُّدِّى : السماوات والأرض فى جوف الكرسى ، والكرسىُّ بين

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة ص الآية ٣٤ .

(٣) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عباس حبر الأمة ولد قبل الهجرة باربع سنين مات بالطائف سنة ٦٨ هـ وهو أحد فقهاء العبادلة الأربعة انظر المشاهير / ٩ .

(٤) هو عثمان بن زبى شيبة بن محمد بم ابراهيم أبو الحسن الكوفى صاحب المسند والتفسير روى عن هشيم وحميد وعبد الرحمن الرواسى وغيرهم وعنه الجماعة سوى الترمذى والنسائى وعنه أبو زرعة وحاتم ذكره ابن حبان فى الثقات مات سنة ٢٣٩ هـ انظر تهذيب التهذيب ٧ / ١٤٩ .

(٥) انظر المستدرك للحاكم النيسابورى (٢٨٢/٢) .

يدى العرش[1] .

وقال الطبرى [2] فى تفسيره أيضاً[3] : قال أبو ذر رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهرى فلاة من الأرض »[4] .

وقيل : كرسيه : علمه ، وينسب إلى ابن عباس[5] ، وذلك لدلالة قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾[6] ، على أن ذلك كذلك ، فأخبر أنه لا يؤده حفظ ما علم وأحاط به مما فى السموات والأرض ، وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا فى دعائهم ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[7] ، فأخبر تعالى أن علمه وسع كل شىء فكذلك قوله : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾[8] ، وأصل الكرسى : العلم ، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب : « كراسة » ومنه قول الراجز فى صفة قانص [9] :

حتى إذا ما احتازها تكرساً

يعنى علم ، ومنه يقال للعلماء : « الكرسى » لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : أوتاد الأرض ، يعنى ذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الأرض ... فالعرش غير الكرسى .

---

(١) انظر تفسير الطبرى : (٥٧٩٠) .

(٢) هو محمد بن جرير الطبرى أبو جعفر المفسر المقرىء المحدث والمؤرخ الفقيه والأصولى المجتهد ولد بامل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ واستوطن بغداد اختار لنفسه مذهبا فى الفقه له : التفسير المشهور والتاريخ وتهذيب الآثار واختلاف الفقهاء توفى سنة ٣١٠ هـ انظر تاريخ بغداد ٢ / ١٦٢ وفيات الزعيان ١ / ٥٧٧ المنتظم ٦ / ١٧٠ معجم الزدباء ٤ / ٩٤ .

(٣) انظر تفسير الطبرى : (٥٧٩٤) .

(٤) أورده الألبانى فى الأحاديث الضعيفة .

(٥) انظر تفسير الطبرى : ٥٧٨٧ – ٥٧٨٨) .

(٦) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٧) سورة غافر الآية ٧ .

(٨) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٩) القانص : أى الصياد .

فتوى شيخ الإسلام فى هذا الموضوع

سُئل رحمه الله :

هل العرش والكرسى موجودان . أم مجاز ؟ أجاب : رضى الله عنه : أحمد لله . بل « العرش » موجود بالكتاب والسُّنّة ، وإجماع سلف الأمة وأئمّتها ، وكذلك « الكرسى » ثابتٌ بالكتاب والسُّنّة ، واجماع جمهور السّلف .

وقد نُقل عن بعضهم : أن « كرسيه » علمه ، وهو قول ضعيف فإن علم الله وسع كل شىء ، كما قال : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾[1] .

والله ـ تعالى ـ يعلم نفسه ، ويعلم ما كان ، وما لم يكن ، فلو قيل : وسع علمه السموات والأرض ، لم يكن هذا المعنى مُناسباً ، لاسيما وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾[2] أى لايثقله ولا يكرثه ، وهذا يناسب القدرة لا العلم ، ولآثار المأثورة تقتضى ذلك ، لكن الآيات والأحاديث فى «العرش» أكثر من ذلك صريحة متوازنة . وقد قال بعضهم : إن « الكرسى» هو العرش ، لكن الأكثرون على أنهم شيئان .

* * *

---

(١) سورة غافر الآية ٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

وفي التفسير

عن مجاهد إمام التفسير :

﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾[1] قال : بين السّماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، فما زال يُقرِّب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع صرير القلم قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[2] .

عن مقاتل بن حيان عن الضحاك[3] فى قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[4] ، قال : « هو على عرشه وعلمه معهم » وفى لفظ « هو فوق العرش وعلمه معهم » . ومقاتل ثقة إمام .

عن أبى مطيع الحكم بن عبد الله البلخى صاحب « الفقه الأكبر » قال :

سألت أبا حنيفة عمّن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض ، فقال : قد كفر ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[5] وعرشه فوق سماواته .

* * *

---

(١) سورة مريم الآية ٥٢ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

(٣) هو أبو عاصم النبيل الضحاك بن مخلد بن مسلم الشيبانى البصرى ثقة ثبت من الطبقة التاسعة توفى سنة ٢١٢ هـ انظر تقريب التهذيب ١ / ٣٧٣ .

(٤) سورة المجادلة الآية ٧ .

(٥) سورة طه الآية ٥ .

وجه آخر من البيان

هو أن الرب سبحانه ثابت الوجود ، ثابت الذات ، له ذات مقدسة ، متميِّزة عن مخلوقاته ، يتجلّى يوم القيامة للأبصار ، ويحاسب العالم ، فلا يُجهل ثبوت ذاته وتمييزها عن مخلوقاته ، فإذا ثبت ذلك فقد أوجد الأكوان في محل وحيز ، وهو ـ سبحانه ـ في قدمه منزّه عن المحل والحيز ، فيستحيل شرعاً وعقلاً عند حدوث العالم أن يحل فيه ، أو يختلط به ، لأن القديم لا يحل في الحادث ، وليس هو محلاً للحوادث ، فلزم أن يكون بائناً عنه ، وإذا كان بائناً عنه ، فيستحيل أن يكون العالم في جهة الفوق ، وأن يكون الربُّ ـ سبحانه ـ في جهة التحت .

هذا محال شرعاً وعقلاً ، فلزم أن يكون فوقه بالفوقية اللائقة به التي لا تُكيَّفْ ولا تُمَثَّلْ ، بأن يعلم من حيث الجملة والثبوت ، لا من حيث التمثيل والتكييف .

وقد سبق الكلام في أن الإشارة إلى الجهة إنما هو باعتبارنا ، لأنا محلٌ وحيِّز وحدٌ ، والقدم لا فَوْقَ فيه ولا جهة ، ولا بد من معرفة الموجد ، وقد ثبت بينونه عن مخلوقاته ، واستحالة علوِّها عليه ، فلا يمكن معرفته والإشارة بالدُّعاء إليه ، إلاَّ من جهة الفوق ، لأنَّها أنسبُ الجهات إليه ، وهو غير محصور فيها ، بل هو كما كان في أزليتّه وقدمه ، فإذا أراد المحدَث أن يشير إلى القديم فلا يمكنه ذلك إلا بالإشارة إلى الجهة الفوقيَّة ، لأن المشير في محل : له فوق وتحت ، والمشار إليه : قديم باعتبار قدمه . لا فوق هناك ولا تحت وباعتبار حدوثنا وتسفُّلنا هو فوقنا .

فإذا أشرت إليه تقع الإشارة عليه كما يليق به ، لا كما نتوهمه في الفوقية المنسوبة إلى الأجسام ، لكننا نعلمها من جهة الإجمال والثّبوت لا جهة التمثيل .إذا علمنا ذلك واعتقدناه ، تخلصنا من شبه التأويل ، وعماوة

التعطيل ، وحماقة التشبيه والتمثيل ، وأثبتنا علو وفوقيته ، واستواءه على عرشه ، كما يليق بجلاله وعظمته ، فالحقّ واضح فى ذلك ، والصدر ينشرح له .

فالرب سبحانه .. وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها ، عدول عن المقصود منه فبتعريفنا إياه ، ما وصف لنا نفسه بها إلا نثبت ما وَصَفَ به نفسه ولا نقفُ فى ذلك .

والتّشبيه والتّمثيل حماقة وجهالة ، فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ، ولا وقوف ، فقد وقع على الأمر المطلوب منه ، إن شاء الله تعالى .

والذى شرح الله به صدرى فى حال هؤلاء الشيوخ ، الذين أوّلوا الإستواء: بالاستيلاء (١) ، والنُّزول الأمر ، واليدين : بنعمتين ، والقدرتين (٢) وهو علمى بأنهم مافهموا فى صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين .

فما فهموا عن الله استواءً يليق به ، ولا نزولاً يليق به ولا يدين تليق بعظمته ، بلا تكييف ولا تشبيه .

ونذكر بيان ذلك إن شاء الله تعالى فنقول : لا ريب أن نحن وإياهم مُتّفقون على إثبات صفات الحياة ، والسّمع ، والبصر ، والعلم ، والقدرة ، والإرادة ، والكلام لله تعالى .

ونحن قطعاً لا نعقل من الحياة إلا هذا العَرَضَ الذى يقوم بأجسامنا ، وكذلك لا نعقل من السّمع والبصر إلاّ أعراضاً تقوم بجوارحنا ، فكما أنهم يقولون حياته ليست بعَرَضٍ ، وعلمه كذلك ، وبصره كذلك ، هى صفات كما يليق به ، لا كما يليق بنا .

---

(١) قال الإمام مالك فى الاستواء الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والايمان به واجب . أ . هـ هذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة والسلف الصالح فى معنى الاستواء .

(٢) وقد ذهب إلى هذا التأويل الفاسد كثير من علماء الكلام والفرق الضالة كالمعتزلة .

فكذلك نقول نحن ، حياته معلوماته ، ليست مكيّفة . وعلمه معلوم ، وليس مكيفاً ، وكذلك سمعه وبصره معلوماته ، وليس جميع ذلك أعراضاً، بل هو كما يليق به .

ومثل ذلك بعينه ، فوقيته واستواؤه ونزوله ، فوقية معلومة ، أعنى ثابتة كثبوت حقيقة السّمع ، وحقيقة البصر ، فإنّهما معلومات ، ولا يُكيّفان ، كذلك فوقيّة معلومة ثابتة غير مكيّفة كما يليق به ، واستواؤه على عرشه معلوم ثابت كثبوت السمع والبصر ، غير مُكيف ، وكذلك نزوله ثابتٌ معلوم ، غير مُكيّف بحركة ، وانتقالٍ يَليق بالمخلوق ، بل كما يليق بعظمته وجلاله .

وصفاته معلومة من حيث الجملة والثُّبوت ، غير معقوله له من حيث التكييف والتحديد ، فيكون المؤمنُ بها مُبصراً من وجه ، أعمى من وجه ، مبصراً من حيث الإثبات والوجود ، أعمى من حيث التّكييف والتّحديد .

وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه ، وبين نفى التحريف والتّشبيه ، والوقوف ، وذلك هو مُراد الله تعالى منّا ابراز صفاته لنا لنعرف بها ، ونؤمن بحقائقها ، وننفيِ عنها التّشبيه ، والجسميّة ، نلزمهم فى هذه الّصفات من العرضيّة ، وما ينزهون ربهم به فى الصّفات السبّع ، وينفـونه عنه من عـوارض الجسم فيـهـا ، فكذلك نحن نعـمل فى تلك الصفات ، التى ينسبوننا فيها إلى التّشبيه سواء بسواء .

ومن أنصف عرف ماقلناه واعتقده ، وقبل نصيحتين ، ودام لله بإثبات جميع صفاته هذه وتلك ، ونفى عن جميعها : التعطيل ، والتشبيه ، والتأويل، والوقوف .

وهذا مراد الله تعالى منا فى ذلك ، لأن هذه الصّفات وتلك جاءت فى موضع واحد وهو الكتاب والسُّنّة .

وأما مسألة الصِّفات فتساق مساق مسألة العلوّ ، ولا يفهم منها ما يفهم من صفـات المخلوقين ، بل يوصف الرَّب تعالى بها كما يليق بجلاله [1] وعظمته ، فينزل كما يليق بجلاله وعظمته ، ويداه كما يليق بجلاله وعظمته ، ووجهه الكريم كما يليق بجلاله وعظمته ، وكيف ينكر الوجه الكريم ويحرّف ! وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[2] ، وقال ﷺ في دعائه : « **نسألك لذة النظر إلى وجهك** »[3] .

وإذا ثبتت صفة الوجه بهذا الحديث ، وبغيره من الآيات والنصوص ، فكذلك صفة اليدين ، والضحك ، والتعجب ، ولا يفهم من جميع ذلك إلا ما يليق بالله عز وجل بعظمته ، لا ما يليق بالمخلوقات من الأعضاء والجوارح ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

وإذا ثبت هذا الحكم في الوجه ، فكذلك في اليدين ، والقبضتين ، والقدم ، والضَّحك ، والتَّعجب ، كل ذلك كما يليق بجلال الله وعظمته ، فيحصل بذلك إثابت ما وصف الله به نفسه في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ . ويحصل أيضاً نفي التَّشبيه والتَّكييف في صفاته ، ويحصل أيضاً ترك التَّأويل والتَّحريف المؤدِّي إلى التَّعطيل ، ويحصل بذلك أيضاً عدم الوقوف بإثبات الصِّفات وحقائقها على ما يليق بجلال الله وعظمته ، لاعلى ما نعقل نحن من صفات المخلوقين .

وأما مسألة الحرف والصَّوت فتساق هذا المساق .

---

(١) فنثبت له استواء يليق بجلاله تعالى ونزولا يليق بعزته ونثبت له يدين تليق به ليست كأيدينا وكل ذلك بلا تكييف ولا تشبيه فمن نفى ذلك كان معطلا هالكاً ومن شبه يديه بأيدينا واستواءه بالإستيلاء كان مشبها ضالاً

(٢) سورة الرحمن الآية ٢٧

(٣) هو من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه

فإن الله تعالى قد تكلم بالقرآن المجيد بجميع حروفه فقال تعالى:
﴿ كهيعص ① ﴾[1] ، وقال : ﴿ قٓ والْقُرْآنِ الْمجيد ﴾[2] .

وكذلك جاء فى الحديث : « **فينادى يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قرب** »[3] .

وفى الحديث : « **لا أقول : ﴿ ألم ﴾ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حر ف** »[4] . الحاكم فى مستدركه . وهو حديث صحيح .

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله إلا ما فهمه من كلام المخلوقين ، فقالوا : إذا قلنا بالحرف ،فإن ذلك يؤدى إلى القول بالجوارح واللهوات ، فإنهما فى جناب الحق لا يحتاجان إلى ذلك .

وهذا ينشرح الصدر له ، ويستريح الأنسان به من التّعسف والتّكلّف ، بقوله : هذا عبارة عن ذلك .

فإذا قيل : هذا الذى يقرؤه القارىء ، هو عين قراءة الله ، وعين تكلمه هو ؟ ، قلنا : لا ، بل القارىء يؤدى كلام الله إنما ينسب إلى من قاله مبتدئاً ، لا إلى من قاله مؤدّياً مبلغاً ، ولفظ القارىء فى غير القرآن مخلوق، وفى القرآن لا يتميز اللّفظ المؤدّى عن الكلام المؤدى عنه ، ولهذا منع السّلف عن قوله : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فإن لفظ العبد فى غير التّلاوة مخلوق ، وفى التّلاوة مسكوتٌ عنه ، كيلا يودّى الكلام فى ذلك إلى القول يخلق القرآن [5] وما أمر السّلف بالسُّكوت عنه ، يجب السُّكوت

---

(١) سورة مريم الآية ١

(٢) سورة ق الآية ١ .

(٣) هو من حديث طويل .

(٤) وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير : (١٨ / ٧٦)

(٥) كما قالت المعتزله بذلك وكان ذلك سببا لحدوث فتنة كبرى بين متكلمى المعتزله والإمام أحمد بن حنبل فى فترة خلافه المأمون الخليفة العباسى ابن هارون الرشيد

عنه، والله الموفِّق والمعين .

العبد إذا أيقن أن الله فوق السماء ، عال على عرشه بلا حصر ، ولا كيفيَّة ، وأنَّه الآن فى صفاته كما كان فى قدمه ، كان لقلبه قبله فى صلاته ، وتوجهه، ودعائه . ومن لا يعرف ربه بأنه فوق السَّماء على عرشه فإنَّه يبقى ضائعاً لا يعرف وجهة معبوده : لكن ربما عرفه بسمعه ، وبصره ، وقدمه ، وتلك بلا هذا معرفة ناقصة ، بخلاف من عرف أن إلهه الذى يعبده فوق الأشياء ، فإذا دخل فى الصلاة وكبر ، وتوجه قلبه إلى جهة العرش ، منزّهاً له تعالى ، مفرداً له كما أفرده فى قدمه وأزليته ، عالماً أن هذه الجهات من حدودنا ولوازمنا ، ولا يمكننا الإشارة إلى ربنا فى قدمه وأزليته إلا بها ، لأنّا مُحَدثون ، ،والمحدث لابدَّ له فى إشارته إلى جهة فتقع تلك الإشارة إلى ربه كما يليق بعظمته ، لا كما يتوهمه هو من نفسه .

ويعتقد أنه فى علوه قريب من خلقه ، ،وهو معهم بعلمه ، وسمعه ، وبصره ، واحاطته ، وقدرته ، ،ومشيئته ، وذاته ، فوق الأشياء ، فوق العرش ، ومتى أشعر قلبه بذلك فى الصلاة أشرق قلبه ، واستنار ، وأضاء بأنوار المعرفة والإيمان ، وعكفت أشعة العظمة على قلبه ، وروحه ، ونفسه ، فانشرح لذلك صدره ، وقوى إيمانه ، ونزه ربه عن صفات خلقه ، من الحصر والحلول ، وذاق حينئذ شيئاً من أذواق السَّابقين المقربين . بخلاف من لايعرف وجهة معبودة ، وتكون الجارية ، راعية الغنم أعلم بالله منه ، فإنها قالت : فى السماء ، عرفته بأنه فى السماء ، لما قال رسول الله ﷺ : « يا جاريةُ أينَ الله »[١] .

قالت : فى السماء . وأقرها على ذلك .

فإن « فى » تأتى بمعنى « على » كقوله : ﴿ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾[٢] ،

(١) حديث صحيح رواه مسلم فى صحيحه .

(٢) سورة المائدة الآية ٢٦ .

والرب سبحانه وتعالى كما كان فى قدمه وأزليته ، وفردانيته ، لم يحدث له ذاته ولا فى صفاته مالم يكن فى قدمه وأزليته ، فهو الآن كما كان .

لكن لما أحدَث المربوبَ المخلوق ذا الجهات ، والحدود ، والخلاء ، والملاء، والفوقية ، والتحتية ، كان مقتضى حُكْم العظمة للربوبية أن يكون فوقَ مُلكه، وأن تكون المملكة تحته ، باعتبار الحدوث من الكون ، لا باعتبار القدم من المكون ، فإذا أُشير إليه بشيء يستحيل أن يُشار إليه من الجهة التحتية أو من جهة اليمنى أو اليسرى ، بل لا يليق أن يشار إليه إلاّ من جهة العلوّ والفوقية ، ثم الإشارة فى بحسب الكون ، وحدوثه ، وأسلفه .

فالإشارة تقع على أعلى جزء من الكون حقيقة ، وتقع على عظمة الرب تعالى كما يليق به ، لا كما يقع على الحقيقة المعقولة عندنا فى أعلى جزء من الكون فإنها إشارة إلى جسم ، وتلك إشارة إلى إثبات .

إذا علم ذلك فالاستواء : صفة له كانت فى قدمه ، لكن لم يظهر حكمها إلا عند خلق العرش ، كما أن « الحساب » صفة قديمة له لا يظهر حكمها إلا فى الآخرة وكذلك « التجلّى » فى الآخرة لا يظهر حكمه إلا فى محله .

فإذا علم ذلك ، فأمر الذى يهرب المتأولون منه ، حيث أولوا الفوقية : بفوقية المرتبة .

والاستواء :: بالاستيلاء ، فنحن أشد الناس هرباً من ذلك ، وتنزيهاً للبارى سبحانه وتعالى عن الحد الذى يحصوه ، فلا يُحَد بحدٍ يحصره ، بل بحد تتميز به عظمة ذاته عن مخلوقاته ، والإشارة إلى الجهة إنما هو بحسب الكون وأسفله إذ لا يمكن الإشارة إليه إلا هكذا .

وهو فى قدمه ـ سبحانه ـ منزّه عن صفات الحدوث ، وليس فى القدم فوقية ولا تحتة ، وإن مَنْ هو محصور فى التحت لا يُمكنه معرفة بارئه إلا من

فوقه ، فتقع الإشارة إلى العرش حقيقة إشارة معقولة ، وتنتهى الجهات عند العرش ، ويبقى ما وراءه لا يُدركه العقل ، ولا يكفيه الوهم ، فتقع الإشارة عليه كما يليق به مُجملاً ، مُثبتاً ، لا مكيّفاً ولا ممثّلاً .

* * *

[نص السؤال الموجّه للإمام ابن تيميّة]

سُئل : شيخنا وسيِّدنا شيخ الإسلام تقيّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم أعاد الله تعالى علينا من بركته آمين .

ـ ما تقول في العرش ؟ هل هو كروى ؟ أم لا ؟ فإذا كان كروياً ، والله من ورائه مُحيط بائن عنه ، ،فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله حين دعائه وعبادته فيقصد العلوّ دون غيره ؟ فلا فرق حينئذٍ وقت الدُّعاء بين قصد جهة العلوّ وغيرها من الجهات التي تحيط بالدّاعي ؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلوّ لا يلتفت يمينه ولا يساره ، فأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فُطرنا عليها ، وابسُطوا لنا الجواب في ذلك (بسطاً شافياً يزيل الشُّبهة ويحقق الحق إن شاء الله ، أدام الله النفع بكم وبعلومكم آمين)[1] .

* * *

(١) ما بين قوسين زيادة من الفتاوى الكبرى

أجاب رضى الله تعالى عنه :

[نص جواب الإمام ابن تيمية]

الحمد لله رب العالمين ، الجواب عن هذا بثلاث مقدّمات :

المقدِّمة الأولى

أحداها

إنه لقائل أن يقول : لم يثبت بدليل يُعتمد عليه أن « العرش » فَلَكٌ من الأفلاكِ المستديرةِ الكرويّة الشكل ، لا بدليل شرعىٍّ ولا بدليل عقلىّ .

وإنما ذكر طائفة من المتأخّرين الّذين نظروا فى « علم الهيئة »[١] وغيره من أجزاء الفلسفة[٢] ، فرأوّا أن الأفلاك تسعة ، وأنّ التاسع ـ . وهو الأطلس[٣] ـ مُحيط بها ، مُستدير كاستدارتها ، وهو الذى يُحركها الحركة المشرقية[٤] ، وإن كان لكلِّ فلكٍ حركة تخصُّه غير هذه الحركة العامّة .

ثم سمعوا فى أخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ذكر « عرش الله» ، وذكر « كرسيه » وذكر « السموات السبع » فقالوا بطريق الظّنّ : أنّ « العرش » هو الفلك التّاسع ، لاعتقادهم أنه ليس وراءَ ذلك التّاسع شىء ، إما مطلقاً ، وإما أنه ليس وراءه مخلوق .

ثم إن منهم من رأى أن « التّاسع » هو الذى يُحرِّك الأفلاك كلّها ،

(١) علم الهيئة : هو علم يبحث فى حركة الكواكب والنجوم ومنازلها وكميتها ، وأقسام البروج ، وأبعادها ، وعظمها ، وهو ما يسمى اليوم الجغرافيا والفلك .

(٢) الفلسفة كلمة يونانية الأصل مكونه من مقطعين (فيلو سوفيا) وتعنى محبة الحكمه وقد أسس هذا العلم سقراط ومن بعده افلاطون وارسطو الفلاسفه اليونانيين القدماء .

(٣) الأطلس : هو الظلام الدامس المحيط بالكون من كل أطرافه والذى يُرى بالعين المجردة فى ظلمة الليل البهيم .

(٤) الحركة المشرقية : هى حركة الكون حول الكرة الأرضية من الشرق إلى الغرب .

فجعلوه مبدأ الحوادث ، وزعموا أنّ الله تعالى يُحدثُ فيه إما يقدِّره في الأرض ، أو يُحدثه في « النفس » التي زعموا أنها متعلِّقة به ، أو في العقل الذي زعموا أنه الذي صَدَرَ عنه هذا الفلك ، وربما سمّاه بعضهم «الرُّوح» ، وربما جعل بعضهم « النفْس » هي الروح وربما جعل بعضهم ذلك النّفس هو اللّوح المحفوظ ، كما جعل بعضهم العقلَ هو القلم .

وتارةً يجعلون « الرُّوح » = اللوح ، هو : العقل الفعال العاشر الذي لفلك القمر و « النّفس » المتعلقة به .

وربما جعلوا ذلك بالنِّسبة إلى الحقّ كالدِّماغ بالنِّسبة إلى الإنسان ، يقدّر فيه ما يفعله قبل أن يكون ، إلى غير ذلك من المقالات التي قد شرحناها وبيّنا فسادهافي غير هذا الموضع[١] .

ومنهم من يدّعي أنه علِمَ ذلك بطريق الكشف والمشاهدة[٢] ، ويكون كاذباً فيما يدّعيه ،وإنما أخذ ذلك عن هؤلاء المتفلسفة تقليداً لهم ، أو موافقة لهم على طرقهم الفاسدة ، كما فعل أصحاب « رسائل اخوان[٣] الصفا » وأمثالهم .

---

(١) كثيرة جداً مواضع بيان شطط الفلاسفة ، وفساد آرائهم في كتب ورسائل الإمام ابن تيمية حيث بسطها وردّ عليها .

(٢) يقصد بذلك الشيخ محيي الدين بن عربي : انظر (الفتوحات ٣٢/٤ ، ٨١ و ٤٩٦/٢ ، و٤٩٧ و ٤٢٢/٣) (التراجم ٢) .

(٣) إخوان الصفا : إحدى الجمعيات السرية الإسماعيلية تسودها الاصطلاحات الإسماعيلية وتنتشر فيها الآراء الباطنية من غنوص أفلوطني وغنوص الفيثاغورية المحدثة مع مزيج من عقائد إسلامية وغير إسلامية من مانويه ومزدكية وديصانية ، وبقايا مما تركه سقراط وأفلاطون خاصة انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام لدى بور ٢٧٦ والمدارس الفلسفية للدكتور فؤاد الأهواني

ومن أقوال هؤلاء على سبيل المثال قول أحمد بن كيال : العوالم ثلاثة : العالم الأعلى والعالم الأدنى والعالم الإنساني ، وقد أثبت في العالم الأعلى خمسة أماكن ، الأول : « مكان الأماكن » وهو مكان فارغ لا يسكنه موجود ، ولا يدبره روحاني ، وهو محيط بالكل ، والعرش الوارد في الشرع عبارة عنه ، ودونه : مكان النفس الأعلى .... إلخ .

وقد يتمثّل فى نفسه ما تقلّده عن غيره فيظنّه كشفاً[١] ، كما يتخيّل النّصرانى التّثليث الذى يعتقده ، وقد يرى ذلك فى منامه فيظنه كشفاً[٢] ، وإنما هو تخيّل لما اعتقده ، وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة إذا ارتاضوا صقلت الرّياضة نفوسهم ، فتتمثل لهم اعتقاداتهم ، فيظنّوها كشفاً ، وقد بسطنا الكلام على هذا فى غير هذا الموضع .

والمقصود هنا : أن ما ذكروه من أن « العرش » هو الفلك التاسع : قد يقال : أنه ليس لهم عليه دليل لا عقلى ، ولا شرعى[٣] .

أما العقلى : فإنّ أئمة الفلاسفة مُصرّحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أنه ليس وراء الفلك التاسع شىء آخر ، بل ولا قام عندهم دليل على أن الأفلاك هى تسعة فقط ، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك[٤] ، ولكن دلّتهم الحركات المختلفة والكسوفات ، ونحو ذلك على ما ذكروه .

ومالم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون لاثبوته ولا انتفاءه .

مثال ذلك : أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا ، بأنّ السُفلىّ يكشف العلوىّ من غير عكس ، فاستدلّوا بذلك على أنه ليس من فلكٍ فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة ، على أن الأفلاك مختلفة ، حتى

---

(١) وهذا ما يدركه الباحث المطلع على عقائد الفلاسفة اليونان والغنوص بأنواعها إذا ما قارنها بما يبديه محيى الدين بن عربى من أفكار وآراء وخاصة فى كتابه « فصوص الحكم » مدعياً أنها كشوف وإلهامات من الله تعالى .

(٢) وهذا مما أثبته لنفسه الراهب توما الذى ينكر ما يُقال عَنْ صلب المسيح . فرآه فى المنام يصافحه وأثر الدم على يده ، وعندما استيقظ رأى دماً على يده . فآمن بأن المسيح هو الذى صُلب .

(٣) الواقع أن آراءهم نظريات وخيالات لا دليل عليها ، بل أثبت العلم والاستقراء الصحيح أنها محض خيال خالفوا بين حقائق الكون وقوانين الفلك .

(٤) فى الواقع أن العلم الحديث اكتشف أن الكون مليىء بملايين لمجرات وكل مجرة مكونه من عدة مجموعات شمسيه . وذلك خير دليل على بطلان دعوى هؤلاء الفلاسفة وتأبداً لما ذهب إليه شيخ الاسلام .

جعلوا فى الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التّدوير وغيره .

فأما ما كان موجوداً فوق هذا ، ولم يكن لهم ما يستدلّون به على ثبوته: فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم .

وكذلك قول القائل : أن حركة « التاسع » مبدأ الحوادث خطأ ، وضلال على أصولهم[1] ، فإنهم يقولون أن « الثامن » له حركة تخصُّه بما فيه من الثّوابت ، ولتلك الحركة قطبان غير قطبى « التاسع » ، وكذلك « السّابع » و « السّادس »

وإذا كان لكل فلك حركة تخصُّه ، والحركات المختلفة هى سبب الأشكال الحادثة المختلفة الفلكيّة ، وتلك الأشكال سبب الحوادث السُّفليّة ، كانت حركة التّاسع جزء السّبب كحركة غيره .

فالأشكال الحادثة فى الفلك ،لمقارنة الكوكب فى درجة واحدة ، ومقابلته له إذا كان بينهما « نصف الفلك » وهو مائة وثمانون درجة ، وتثليثه له إذا كان بينهما ثلث الفلك وهو مائة وعشرون درجة ، وتربيعه له إذا كان بينهما « ربعه » وهو تسعون درجة ، وتسديسه له إذا كان بينهما «سدس الفلك » وهو ستون درجة ، وأمثال ذلك من الأشكال ـ إنما حدثت بحركات مختلفة ، وكلٌّ حركة ليست عين الأخرى ، إن حركة «الثامن » التى تخصُّه ليست عين حركة التاسع ، وإن كان تابعاً له فى الحركة الكلية كالإنسان المتحرك فى السفينة إلى خلاف حركتها .

وكذلك حركة « السّابع » التى تخصُّه ليست عن « التاسع » ولا عن «الثامن » ، وكذلك سائر الأفلاك ، فإن حركة كل واحد التى تخصُّه ليست عمّا فوقه من الأفلاك ، فكيف يجوز أن يجعل مبدأ الحوادث كلّها ،

---

(١) أى حسب قواعدهم وأصولهم التى بنوا نظرياتهم عليها .

مجرد حركة « التاسع » !! كما زعمه من ظنَّ أنه العرش [١] .

كيف والفلك التّاسع عندهم بسيط ، متشابه الأجزاء لا اختلاف فيه أصلاً ، فكيف يكون سبباً لأمور مختلفة ، لا باعتبار القوابل وأسباب أخر ؟ ولكن هم قوم ضالُّون ، يجعلونه مع هذا ثلثمائة وستين درجة ، ويجعلون لكل درجة من الأثر ما يُخالف الأخرى ، لا باختلاف القوابل ، كمن يجيء إلى ماءٍ فيجعل لبعض جزئيه من الأثر ما يخالف الآخر لا بحسب القوابل ، بل يجعل أحد جزئيه مسخّناً والآخر مبرِّداً ، والآخر مُسعِداً والآخر مُشقياً ، وهذا مما يعلمون هم وكل عاقل أنه باطل وضلال .

وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر وفوق الأفلاك التسعة، كان الجزم بأن ما خبرت به الرُّسل من أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب ، وقولاً بلا علم .

هذا كله على تقدير ثبوت الأفلاك التسعة على المشهور عند أهل الهيئة ، إذ في ذلك من النزاع والاضطراب ، وفي أدلة ذلك ماليس هذا موضعه ، وإنما نتكلم على هذا التقدير .

وأيضاً فالأفلاك في أشكالها ، وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد ، فنسبة السّابع إلى السّادس كنسبة السادس إلى الخامس ، وإذا كان هناك فلك تاسع فنسبته إلى الثّامن كنسبة الثامن إلى السّابع ؟ .

وأما « العرش » فالأخبار تدل على مباينته[٢] لغيره من المخلوقات ، وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض ، قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا

---

(١) انظر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٦ / ٥٤٩ ففيه مزيد من الإفادة .

(٢) أى انفصاله ليس له اتصال بالمخلوقات

سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[2] ، فأخبر للعرش أن حملة اليوم ، ويوم القيامة [3] ، وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين .والمعلوم أن قيام فلك من الأفلاك بقدرة الله تعالى كقيام سائر الأفلاك لا فرق فى ذلك بين فلك وفلك ، وإن قدر أن لبعضها ملائكة فى نفس الأمر تحملها ، فحكمه حكم نظيره .

قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] ، فذكر هنا أن الملائكة تحف من حوله ، وذكر فى موضع آخر أن له حملة ، وجمع فى موضع ثالث بين حملته ومن حوله فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾[5] .

وأيضاً فقد أخبر أن عرشه كان على الماء قبل أن يخلق السموات والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[6] .

وقد ثبت فى صحيح البخارى [7]وغيره عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ أنه قال : « **كان الله ولم يكن شىء غيره ، وكان عرشه على الماء ،**

(١) سورة غافر الآيتان : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الحاقة الآية ١٧ .

(٣)حملة العرش فى الدنيا أربعة كما ثبت ذلك فى السنه الصحيحة وأما حملة العرش يوم القيامة ثمانية كما هو موضح وثابت فى الآية الكريمة .

(٤) سورة الزمر الآية ٧٥ .

(٥) سورة غافر الآية ٧ .

(٦) سورة هود الآية ٧ .

(٧) البخارى : هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفى أبو عبد الله إمام الدنيا جبل الحفظ ثقه الحديث من الطبقة الحادية عشرة توفى سسنة ٢٥٦ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٩ / ٤٧ .

وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض » وفي رواية له : «كان ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء » وفي رواية لغيره صحيحة : « كان الله ولم يكن شيء معه ، وكان عرشه على الماء ، ثم كتب في الذكر كل شيء »[1] وثبت في صحيح مسلم [2] عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »[3] فهذا التقدير بعد وجود العرش ، وقبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

وهو سبحانه وتعالى متمدح بأنه ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾[4] كقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾[5] ، وقوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[6] .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[7] وقد قُرىء ﴿ المجيد ﴾ بالرفع صفة لله ، وقُرىء بالخفض :

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٤١٨) بلفظ : « ولم يكن شيء قبله » و (٣١٩١) وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٣٧٦ ، والدارمي في « الرد على الجهمية » ص ١٤

(٢) هو الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري ثقة حافظ إمام مصنف عالم الفقه صاحب الصحيح توفي سنة ٢٦١ هـ . انظر تقريب التهذيب ٢ / ٢٤٥ .

(٣) حديث صحيح رواه مسلم برقم (٣٧٤) وبلفظ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ..» وأخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » ص ٣٧٤ بلفظ : « قدّر الله المقادير » ، وأحمد في المسند ٢/ ١٦٩

(٤) سورة البروج الآية ١٥ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٤٢

(٦) سورة غافر الآية ١٥

(٧) سورة البروج الآيات ١٤ - ١٦

صفة للعرش .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾[١] ، وصف العرش بأنه ﴿ مجيد ﴾ وأنه ﴿عظيم﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾[٢] ، فوصفه بأنه ﴿ كريم ﴾ أيضاً .

وكذلك في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، رب العرش الكريم »[٣] فوصفه في الحديث بأنه « عظيم » و« كريم » أيضاً .

فيقول القائل المنزع : (إن نسبة الفلك الأعلى إلى ما دونه ، كنسبة الآخر إلى ما دونه) ، فلو كان العرش من جنس الأفلاك لكانت نسبته إلى ما دونه كنسبة الآخر إلى مادونه ، وهذا لا يوجب خروجه عن الجنس وتخصيصه بالذكر ، كما لم يوجب ذلك تخصيص سماء دون سماء ، وإن كانت العُليا بالنسبة إلى السفلى ، كالفلك على قول هؤلاء .

وإنما امتاز عما دونه بكونه أكبر ، كما تمتاز السماء العليا على الدنيا ، بل نسبة السماء إلى الهواء ، ،ونسبة الهواء إلى الماء والأرض ، كنسبة فلك إلى فلكٍ .

ومع هذا فلا يخص واحد من هذه الأجناس عما يليه بالذكر ، ولا

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٨٦ – ٨٧ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٦ .

(٣) حديث صحيح متفق عليه رواه البخارى برقم (٦٣٤٥) و (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠) والترمذى (٣٤٥٣) وأحمد ٢٢٨/١ وغيرهم .

يوصفه بالكرم والمجد والعظمة .

وقد علم أنه ليس سبباً لذاتها ولا لحركاتها ، بل لها حركات تخصها ، فلا يجوز أن يقال أن حركته هى سبب الحوادث ، بل إن كانت حركة الأفلاك سبباً للحوادث فحركات غيره التى تخصه أكثر ، ولا يلتزم من كونه محيطاً بها أن يكون أعظم من مجموعها ، إلاّ إذا كان له من الغلظ ما يقاوم ذلك ، وإلا فمن المعلوم أن الغليظ إذا كان متقارباً ، فمجموع الدّاخل أعظم من المحيط ، بل قد يكون بقدر أضعافاً ، بل الحركات المختلفة التى ليست عن حركته أكثر ، لكن حركته تشملها كلها .

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن جويرية بنت الحارث[1] أن النبى ﷺ دخل عليها وكانت تسبِّح بالحصى من صلاة الصبح وقت الضحى فقال : **«لقد قلت كلمة تعدل كلمات لو وزنت ما قلتيه لوزنتهن : سبحان الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضى نفسه ، سبحان الله مداد كلماته »**[2] .

فهذا يبين أن زنة العرش أثقل الأوزان وهم يقولون إن الفلك التاسع لا خفيف ولا ثقيل[3] ، بل يدل على أنه وحده أثقل ما يمثل به كما أن عدد

---

(١) هى أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ رضى الله عنها وهى جويريةبنت الحارث بن أبى ضرار رضى الله عنها تزوجها رسول الله ﷺ وهى بنت عشرين سنة وهى من نساء بنى المصطلق . توفيت رضى الله عنها سنة خمسين هجرية وهى بنت خمس وستين سنة رحمها الله . انظر صفه الصفوه لابن الجوزى ١ / ٣٥٧

(٢) حديث صحيح رواه مسلم عن ابن عباس ٢٠٩٠/٤ ، ٢٠٩١ ، وأبو داود (١٥٠٣) ، والترمذى (٣٥٥٠) ، والنسائى ٧٧/٤ .

(٣) ويقول شيخ الاسلام فى كتابه « الإستقامة » بعد إيراد الحديث الشريف : زنة عرشه : وذلك فى معرض التعظيم لوزن العرش وأنه أعظم المخلوقات وزناً ، وذلك يدل على ثقله ، كما جاءت بقية الأحاديث بثقله ، خلافاً لما يقوله من يقوله من المتفلسفة أن الأفلاك وما فوقها ليس بثقيل ولا خفيف بناء على اصطلاح لهم ، الثقيل ما تحرك إلى السفل ، والخفيف ما تحرك إلى فوق وإن الأفلاك لا تهبط ولا تصعد ، وذلك أن الله أمسكها بقدرته كما أمسك الأرض فى مقرها .

المخلوقات أكثر ما يمثل به

وفى الصحيحين عن أبى سعيد[1] قال : جاء رجل من اليهود إلى النبى ﷺ قد لُطِمَ وجهه فقال : يامحمد رجل من أصحابك لطم وجهى ، فقال النبى ﷺ : « أدعوه » فقال : « لِمَ لطمت وجهه ؟ » فقال يا رسول الله : إنى مررت بالسوق وهو يقول : والذى اصطفى موسى على البشر ، فقلت : يا خبيث ، وعلى محمد ؟ فأخذتنى غضبة فلطمته ، فقال النبى ﷺ : «**لاتخيروا بين الأنبياء فإن الناس يُصعقَون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذاً بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقته** »[2] ، فهذا فيه بيان أن للعرش قوائم قوائم وجاء ذكر القائمة بلفظ الساق ، والأقوال متشابهة فى هذا الباب .

وقد أخرجا فى الصحيحين عن جابر قال : سمعت النبى ﷺ يقول : «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** »[3] ، قال : فقال رجل لجابر : أن البراء يقول : اهتز السرير ، قال : إنه كان بين هذين الحيين الأوس والخزرج ضغائن . سمعت نبى الله ﷺ يقول : « **اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ** » ورواه مسلم فى صحيحه من حديث أنس أن النبى ﷺ قال وجنازة سعد موضوعة : « **اهتز لها عرش الرحمن** »[4]

---

(١) هو أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، الصحابى الجليل .

(٢) وذلك إشارة لقول الله تعالى فى سورة الأعراف الآية ١٤٣ : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ، قال ربِّ أرنى أنظُر إليكَ ، قال لَنْ ترانى ولكنْ انظر إلى الجبل فإن استقرَّ مكانهُ فسوف ترانى ، فلما تجلّى ربّهُ للجبلِ جعلهُ دكًا وخرَّ موسى صَعِقًا فلما أفاقَ ، قال سبحانكَ تُبْتُ إليكَ وأنا أوّلُ المؤمنين**﴾.

(٣) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن عبد الأشهل ، أبو عمرو الأنصارى . سيد الخزرج مات شهيداً إثر إصابته رضى الله عنه انظر صفه الصفوه لابن الجوزى الجزء الأول

(٤) مسلم برقم ٢٤٦٦

وعندهم : أن حركة الفلك التاسع دائمة متشابهة ومن تأول ذلك على أن المراد به استبشار حملة العرش وفرحهم فلا بد له من دليل على ما قال ، كما ذكر أبو الحسين الطبرى[١] وغيره : أن سياق الحديث ولفظه ينفى هذا الاحتمال[٢] .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاه وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس في أرضه التى ولد فيها** »

قالوا يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك ؟ قال « إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجتين بينهما كما بين السماء والارض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة »[٣] .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « **يا أبا سعيد ، من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبياً وجبت له الجنة** » فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها على يا رسول الله ، ففعل ثم قال : «**وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض** » ، قال : وما هى يارسول الله قال : « **الجهاد فى سبيل الله**»[٤] .

---

(١) هو محمد بن على بن الطيب ، شيخ المعتزلة فى وقته . توفى سنة ٤٣٦ هـ .

(٢) اهتزاز العرش بحركة فرحا بقدوم روح سعد ، وجعل الله تعالى الاهتزاز فى العرش تمييزاً حصل به هذا ولا مانع منه ، يقول الله تعالى : ﴿ وأنَّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ .

(٣) حديث صحيح أخرجة البخارى فى صحيحه : (١٩/٤) و(١٠٣/٩) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١٥/٩) .

(٤) حديث صحيح أخرجه مسلم فى صحيحه ١٥٠١/٣ برقم ١٨٨٤

وفى صحيح البخارى أن أم الربيع بنت البراء[1] وهى أم حارثة بن سراقة أتت النبى ﷺ فقالت : يارسول الله ألا تحدثنى عن حارثة ، وكان قتل يوم بدر ـ أصابه سهم غرب [2] فإن كان فى الجنة صبرت ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء . قال : « **يا أم حارثة ، أنها جنان وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى** » .

فهذا قد بين « فى الحديث الأول » أن العرش فوق الفردوس الذى هو أوسط الجنة وأعلاها ، وإن الجنة مائة درجة ، مابين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، والفردوس أعلاها . « والحديث الثانى » يوفقه فى و صف الدرجة المائة ، و « الحديث الثالث » يوافقه فى أن الفردوس أعلاها .

وإذا كان العرش فوق الفردوس فلقائل أن يقول : إذا كان كذلك كان فى هذا العلو والارتفاع مالم يُعلم بالهيئة[3] ، ولا يعلم بالحساب أن بين التاسع والأول كما بين السماء والأرض مائة مرة ، بل عندهم أن التاسع مُلاصق للثامن . فهذا قد بين أن العرش فوق الفردوس الذى هو أوسط الجنة وأعلاها .

وفى حديث أبى ذر المشهور ، قال : قلت يارسول الله : أيما أنزل عليك أعظم ؟ قال ﷺ : « **آية الكرسى** » ، ثم قال : « **يا أبا ذر ما السّموات السّبع مع الكرسى إلا كحلقة[4] مُلقاة بأرض فلاة ، وفضلُ العرش على الكرسى كفضل الفلاة على الحلقة** » [5] .

---

(١) أم الربيع هى الصحابية الجليلة المجاهدة الربيع بنت النضر عمة أنس .

(٢) سهم غرب: أى برمْيَة مجهولة .

(٣) أى بعلم الفلك .

(٤) أى : كحلقة الخاتم (النهاية : لابن الأثير (١/٤٢٦) .

(٥) حديث ضعيف رواه الطبرى فى تفسيره ٥٧٩٤

والحديث له طرق ، وقد رواه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، وأحمد[1] فى المسند وغيرهما[2] .

وقد استدل من استدل على أن « العرش مُقببٌ » بالحديث الذى فى سنن أبى داود [3] وغيره : عن جبير بن مُطبع [عن أبيه عن جده] قال : أتى رسولَ الله ﷺ أعرابى فقال : يا رسول الله ، جهدت[4] الأنفسُ ، وجاع العيال ، وهلك المال ، فأدع الله لنا . فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك . فسبح رسول الله ﷺ حتى عُرف ذلك فى وجوه أصحابه وقال : **« ويحك ، أتدرى ما تقول ؟ إن الله لا يُستشفَعُ به على أحَدٍ من خلقه . شأن الله أعظم من ذلك ، إن الله على عرشه ، وإن عرشه على سماواته ، وأرضه لهكذا ، وقال بأصابعه مثل القبة »** ، وفى لفظ **« وأن عرشه فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه ، لهكذا »**[5] وقال بأصابعه مثل القبة .

وهذا الحديث وإن دل على التقبب ، وكذلك قوله عن الفردوس « إنها أوسط الجنة وأعلاها » مع قوله « وإن سقفها عرش الرحمن » و« أن فوقها عرش الرحم » والأوسط لا يكون الأعلى إلا فى المستدير [الكروى] ، فهذا لا يدل على أنه فلك من الأفلاك ، بل إذا قدر أنه فوق الأفلاك كلها أمكن هذا فيه ، سواء قال القائل : أنه مُحيط بالأفلاك ، أو قال : إنه فوقها . وليس

---

(١) هو الإمام المشهور أحمد بن حنبل أبو عبد الله ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفى سنة ٢٤١ هـ . إمام اهل السنة والجماعة إليه ينسب المذهب الحنبلى له مصنفات منها المسند والزهد .

(٢) مسند الإمام أحمد ١٢٨/٥ ، ١٤٢ ، ٢٧٨ ، وأخرجة الشيخ الألبانى فى « صحيحه » برقم ١٠٩ .

(٣) أبو داود هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدى السجستانى رحل إلى البلاد وطوف وجمع وصنف وهو صاحب السنن المشهور ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفى بالبصرة سنة ٢٧٥ هـ وكان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وورعاً واتقانا . انظر تهذيب التهذيب ٤ / ١٦٩ . على الجهمية ص ٢٤ ، البيهقى فى الأسماء والصفات ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٤) جَهدَتْ الأنفس : أى بلغت فيه المشقة غايتها .

(٥) أبو داود (٤٧٢٦) ، ابن خزيمة فى « التوحيد» ص ١٠٣ ، ٤١٧ .

يحيط بها ، كما أن وجه الأرض فوق النصف الأعلى من الأرض ، وإن لم يكن مُحيطاً بذلك ، وقد قال إياس بن معاوية[1] : السّماء على الأرض مثل القبة . ومعلوم أن الفلك مستدير مثل ذلك ، لكن لفظ القبة يستلزم استدارة من العلو ، لا يستلزم استدارة من جميع الجوانب إلا بدليل مفصّل .

ولفظ « الفلك » يُستدل به على الاستدارة مطلقاً ، كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[3] يقتضى أنها فى فلك مستديرة مطلقاً .

كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه : فى فلكه مثل فلكة المِغْزل[4] .

وأما لفظ القُبة : فأنه لا يتعرض لهذا المعنى ، لا بنفى ولا إثبات ، لكن يدل على الاستدارة من العلو ، كالقبة الموضوعة على الأرض .

وقد قال بعضهم : إن الأفلاك غير السموات ، لكن رد عليه غيره هذا القول ، بأن الله تعالى قال : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[5] فأخبر أنه جعل القمر فيهن ، وقد أخبر أنه فى الفلك[6] وليس هذا موضع بسط الكلام فى ذلك .

وتحقيق الأمر فيه وبيان أن ما علم بالحساب علماً صحيحاً لا ينافى ما جاء به السمع ، وأن العلوم السمعية الصحيحة لا تُنافى معقولاً صحيحاً ،

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة المزنى ، أبو وائلة ، قاضى البصرة من المشهورين بالفراسة والفطنة والذكاء ، توفى بواسط سنة ١٢٢ هـ وفيات الأعيان ٨١/١ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .

(٣) سورة يس الآية ٤٠ .

(٤) المغزل آلة قديمة بسيطة استعملت لغزل القطن وجعله خيوطاً .

(٥) سورة نوح الآية ١٦ .

(٦) يدور القمر فى فلكه ضمن السموات السبع

إذْ قد بسطنا الكلام على هذا وأمثاله في غير هذا الموضع[١] ، فإن ذلك يحتاج إليه في هذا ونظائره مما قد أشكل على كثير من الناس ، حيث يرون ما يقال أنه معلوم بالعقل ، مخالفاً لما يقال أنه معلوم بالعقل ، مخالفاً لما يُقال أنه معلوم بالسمع ، وأوجب ذلك أن كذبت كل طائفة بما لم تحط بعلمه، حتى آل الأمر بقوم من أهل الكلام أن تكلموا في معارضة الفلاسفة في الأفلاك بكلام ليس معهم به حجة لا من شرع ولا من عقلٍ ، وظنوا أن ذلك من نصر الشريعة ، وكان ما جحدوه معلوماً بالأدلة الشرعية أيضاً .

وأما « المتفسلفة وأتباعهم » فغايتهم أن يستدلوا بما شاهدوه من الحسيات[٢] ، ولا يعلمون ما وراء ذلك ، مثل أن يعلموا أن البخار المتصاعد ينعقد سحاباً ، وأن السحاب إذا اصطك حدث عنه صوت به ، ونحو ذلك ، لكن علمهم بهذا كعلمهم بأن المني يصير في الرحم (جنينا) ، لكن ما الموجب للمنيّ المتشابه الأجزاء أن يخلق منه هذه الأعضاء المختلفة، والمنافع المختلفة ، على هذا الترتيب المحكم المتقن الذى فيه من الحمكة والرحمة ما بَهَرَ الألباب .

وكذلك ما الموجب لأن يكون هذا الهواء أو البخار منعقد سحاباً مقدَّراً بقدر مخصوص ، في وقت مخصوص ، على مكان يختص به ، وينزل على قومٍ عند حاجتهم إليه ، فيَسقيهم بقدر الحاجة لا يزيد فيهلكوا ، ولا ينقص فيعوزوا .

وما الموجب لأن يساق إلى الأرض الجُرُز[٣] التي لا تمطر ، أو تمطر مطراً لا يغنيها ، كأرض مصر ، إذ كان المطر القليل لا يكفيها والكثير يهدم أبنيتها ، قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ

---

(١) انظر فتاوى شيخ الاسلام بن تيمية ص ٣٦ .

(٢) أي من الأشياء المحسوسة التى تدرك بالحواس الخمس .

(٣) الأرض الجرز : الأرض التى لا تُنبت . أو لم يُصبها مطرٌ

بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[1] .

وكذلك السحاب المتحرك ، وقد علم أن كل حركة فإما أن تكون قسرية[2] ، وهى تابعة للقاسر ، أو طبيعية ، وإنما تكون إذا خرج المطبوع من مركزه ، فيطلب عوده إليه ، أو إرادته وهى الأصل ، فجميع الحركات تابعة للحركة الإرادية التى تصدر عن ملائكة الله تعالى التى هى ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾[3] ، وغير ذلك مما أخبر الله تعالى به عن الملائكة ، وفى المعقول ما يصدق ذلك .

فالكلام فى هذا وأمثاله له موضع غير هذا ،

والمقصود هنا أن نبين أن ما ذكر فى السؤال زائل على كل تقدير فيكون الكلام فى الجواب مبنياً على حجج علمية لا تقليدية ، ولا مسلمة ، وإذا بينا حصول الجواب على كل تقدير ـ كما سنوضحه ـ لم يضرنا بعد ذلك أن يكون بعض التقديرات هو الواقع ، وإن كنا نعلم ذلك ، لكن تحرير الجواب على تقدير دون تقدير ، وأثبات ذلك فيه طول لا يحتاج إليه هنا ، فإن الجواب إذا كان حاصلاً على كل تقدير كان أحسن وأوجز .

* * *

---

(1) سورة السجدة الآية ٢٧ .

(2) أى تتحرك بقوة محرك على غير قاعدتها .

(3) انظر سورة النازعات الآية ٥ قول الله تعالى : ﴿ فالمدبرات أمرا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فالمقسمات أمرًا ﴾ فى سورة الذاريات الآية ٤ .

المقام الثانى

أن يُقال : « العرش » سواء كان وهو الفلك التاسع ، أو جسماً مُحيطاً بالفلك التاسع ، أو كان فوقه من جهة وجه الأرض محيطاً به ، أو قيل فيه غير ذلك ، فيجب أن يعلم أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة إلى الخالق تعالى فى غاية الصغر ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وفى الصحيحين ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : « **يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض** »[2] .

وفى الصحيحين واللفظ لمسلم ـ عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « **يطوى الله السموات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ثم يطوى الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ أين المتكبرون** »[3] .

وفى لفظ فى الصحيح عن عبيد الله بن مقسم أن نظر إلى عبدالله بن عمر كيف يحكى أن النبى ﷺ قال : « **يأخذ الله عز وجل سماواته وأرضه بيده ، ويقول : « أنا الملك » ، ويقبض أصابعه ويبسطها ، « أنا الملك »**[4] حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شىء منه ، حتى أنى أقول أساقط

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٢) انظر صحيح مسلم ٢١٤٨/٤ برقم ٢٧٨٧ ، البخارى برقم ٢٠٣٩ .

(٣) انظر صحيح مسلم ٢١٤٨/٤ برقم ٢٧٨٨ والبخارى برقم ٢٦٠٠ .

(٤) انظر صحيح مسلم ٢١٤٨/٤ برقم ٢٧٨٨ الحديث الذى يليه .

هو برسول الله ﷺ ؟! .

وفى لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول : « **يأخذ الجبار سماواته وأرضه** ـ وقبض بيده وجعل يقبضها ويبسطها ـ ويقول : **أنا الرّحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذى بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذى أعدتها ، أين الملوك ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟** »[1] يميل رسول الله ﷺ على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى أنى لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ ؟! .

والحديث مروى فى الصحيح المسانيد وغيرها بألفاظ ، يصدق بعضها بعضاً .

وفى بعض ألفاظه قال : قرأ على المنبر ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2] الآية ، قال مطويةٌ فى كفه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة»[3] .

وفى لفظ : « **يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده فيجعلها فى كفه ، ثم يقول بها هكذا كما تقول الصّبيان بالكرة ، أنا الله الواحد** » .

وقال ابن عباس : « يقبض الله عليهما فما يُرى طرفاهما بيده » .

وفى لفظ عنه : « **ما السّموات السبع ، والأرضون السّبْعٌ ، وما فيهن ، وما بينهن ، بيد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم** »[4] وهذه الآثار معروفة فى كتب الحديث .

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه : (٢١٤٩) ، والطبرانى فى المعجم الكبير : (٣٥٥/١٢) .

(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٣) لم أقف على هذا الحديث

(٤) لم أجد الحديث بهذا اللفظ .

وفى الصحيحين[١] عن عبد الله بن مسعود[٢] قال : أتى النبى ﷺ رجل يهودى ، فقال : يامحمد إن الله يجعل السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع (فيهزهن) فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، قال : فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر[٣] ثم قرأ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[٤] إلى آخر الآية .

ففى هذه الآية والأحاديث الصحيحة المفسّرة لها المستفيضة التى اتفق أهل العلم على صحتها ، وتلقيها بالقبول ، ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة إلى عظمة الله تعالى أصغر من أن تكون مع قبضه لها إلا كالشيء الصغير فى يد أحدنا ، حتى يدحوها[٥] كما تُدحى الكرة .

قال عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سَلَمَة الماجشون [٦] الإمام ـ نظير مالك[٧] ـ فى كلامه المشهور الذى ردّ فيه على الجهمية[٨] ، ومن حالفها ،

---

(١) انظر البخارى فى تفسير سورة الزمر : باب قوله : ﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض ...﴾ وباب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء ، ومسلم فى صفة القيامة برقم ٢٧٨٦ ..

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن الحارث .. بن هذيل حليف بنى زهرة أبو عبد الرحمن ممن شهد بدراً وسائر المشاهد كان من فقهاء الصحابة سكن الكوفة وولى فيها بيت المال مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ انظر المشاهير / ١٠ .

(٣) الحبر : العالم .

(٤) سورة الزمر الآية ٦٧ .

(٥) يدحوها : يكوّرها .

(٦)عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة الماجشون هو مفتى المدينة المنورة وعالمها مع الإمام مالك بن أنس إمام المالكية توفى سنة ١٦٤ هـ وهو معتمد لدى جميع علماء أهل السنة والجماعة .

(٧) هو الامام مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى المدنى إمام دار الهجرة أحد الأئمة الأربعة وإليه ينسب المالكية ولد بالمدينة سنة ٩٣ هـ له الموطأ وغريب القرآن توفى سنة ١٧٧ هـ بالمدينة المنورة . انظر الديباج / ٢٧ ابن حلكان ١ / ٥٥٥ الاعلام ٣ / ٨٢٤ .

(٨) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان ، وهو من الجبرية الخالصة ، من أقواله أنه لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفه يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضى تشبيهاً فنفى كونه حليما عالما رؤوفا رحيماً ، وأنكر الخلود فى الجنة والنار . قتل سنة ١٢٤ هـ انظر الفرق بين الفرق .

قال : فأما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا قد استهوته الشياطين في الأرض حيران ، فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه ، بأن قال: لابد إن كان له كذا ، من أن يكون له كذا ، فعمى عن البين بالخفى ، فجحد ما سمى الرب من نفسه ، فصمت الرب عما لم يسم منها ، فلم يزل يمثل له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] فقال : لا يراه أحد يوم القيامة ، فجحدوا ـ والله ـ أفضل كرامته التى أكرم الله أوْلياءه يوم القيامة ، من النظر إلى وجهه ، ونظرته له إياهم : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[2] . وقد قضى أنهم لايموتون ، فهم بالنَّظر إليه ينضرون .

إلى أن قال ـ وإنما جحدوا رؤية الله يوم القيامة ، أقامة للحجة الضالة المضلة ، لأنه قد عرف إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوْا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين ، وكان له جاحداً .

وقال المسلمون : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **هل تضارُّون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب ؟** » قالوا : لا، قال : « **فهل تضارُّون فى رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟** » قالوا : لا ، قال : « **فإنكم ترون ربكم كذلك** »[3]

وقال رسول الله ﷺ : « **لا تمتلىء النار حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول : قط ، وينزوى بعضها إلى بعض** »[4]

---

(١) سورة القيامة الآية ٢٢ .

(٢) سورة القمر الآية ٥٥ .

(٣) حديث صحيح رواه البخارى فى التوحيد ٢٤ ، ومسلم فى الإيمان برقم ٢٩٩ وغيرهما .

(٤) البخارى فى التفسير ، تفسير سورة ق وفى التوحيد ٢٥ ، ومسلم فى الجنة ، باب ٣٥ ، ٣٦ وغيرهما .

وقال لثابت بن قيس « **قد ضحك الله مما فعلت بضيفك البارحة** »[1] وقال فيما بلغنا عنه ـ « **إن الله يضحك من أن أزلكم ذلك وقنوطكم وسرعة إجابتكم** » وقال له رجل من العرب : إن ربنا يضحك ؟! قال : «نعم» قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً[2] وفى أشباه لهذا مما لم نحصه

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3] ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[4] وقال : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾[5] وقال ﴿ **مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[7] .

فوالله ما دلهم على عظم ما وصف به نفسه ، وما تحيط به قبضته إلا صغر نظيرها منهم ، عندهم أن ذلك الذى أُلقى فى روعهم وخلق على معرفته قلوبهم .

فما وصف الله من نفسه وسماه على لسان رسوله سميناه ، ولم نتكلف فيه علم ما سواه لا هذا ولا هذا ، لا نجحدُ ما وصف ، ولا نتكلّف معرفة مالم يصف . انتهى .

---

(١) حديث صحيح فى البخارى فى فضائل الصحابة : باب قوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم .. ﴾ « ضحك الله الليلة ، أو عجب من فعالكما ، وفى مسلم فى الأشربة ، باب إكرام الضيف برقم ٢٠٥٤ .

(٢) الحديث كما رواه الإمام أحمد فى مسنده : عن أبى رزين قال : قال رسول الله ﷺ : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » قال : قلت : يارسول الله ، أيضحك الرب عز وجل قال : « نعم » قال : لن نعدم من ربٍّ يضحك خيراً .

(٣) سورة الشورى الآية ١١ .

(٤) سورة الطور الآية ٤٨ .

(٥) سورة طة الآية ٣٩ .

(٦) سورة الأعراف الآية ١٢

(٧) سورة الزمر الآية ٦٧ .

وإذا كان كذلك فإذا قدر أن المخلوقات كالكرة فهذا قبضه لها ، ورميه بها ، وإنما بيّن لنا من عظمته ، وصف المخلوقات بالنسبة إليه ، ما يعقل نظيره منا .

ثم الذى فى القرآن والحديث يبين أنه إن شاء قبضها وفعل بها ما ذكر، كما يفعل ذلك يوم القيامة ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، فهو قادر على أن يقبضها ويدحوها كالكرة ، وفى ذلك من الإحاطة بها مالا يخفى ، وإن شاء لم يفعل ذلك ، و بكل حال فهو مباين لها ليس بمحايث لها[1].

ومن المعلوم أن الواحد منا ـ ولله المثل الأعلى ـ إذا كان عنده خردلةً ، إن شاء قبضها فأحاطت بها قبضته ، وإن شاء لم يقبضها بل حوّلها تحته فهو فى الحالتين مباين لها .

وسواء قدر : أن العرش هو محيط بالمخلوقات كإحاطة الكرة بما فيها ، أو قيل : أنه فوقها وليس محيطاً بها ، كوجه الأرض الذى نحن عليه بالنسبة إلى جوفها ، وكالقبّة بالنّسبة إلى ما تحتها أو غير ذلك ، فعلى التقديرين يكونُ العرشُ فوْقَ المخلوقات ، والخالق سبحانه وتعالى فوقه ، والعبد فى توجهه إلى الله يقصد العلو دون التحت .

وتمام هذا بيان (المقام الثّالث) .

* * *

(١) بمحايث أى : بمخالط (انظر معجم مقاييس اللغة « حس »)

المقام الثالث

وهو أنْ نقول : لا يخلو إما أن يكون العرش كروياً كالأفلاك ، ويكون مُحيطاً بها ، وإما أن يكون فوقها وليس هو كروياً .

فإن كان الأول : فمن المعلوم باتّفاق من يعلم هذا أن الأفلاك مُستديرة كرويّة الشّكل ، وأن الجهة العليا هي جهة المحيط ، وهو المحدّب ، وأن الجهة السّفلي هي المركز ، وليس للأفلاك إلا جهتان : العلوّ والسّفل فقط .

وأما الجهات السّتْ فهي للحيوان ، فإنّ له ستّة جوانب ، يؤُمّ جهة فتكون أمامه ، ويخلف أخرى فتكون خلفه ، وجهة تحاذي يمينه ، وجهة تحاذي شماله[1] ،وجهة تحاذي رأسه ، وجهة تحاذي رجليه ، وليس لهذه الجهات السّت في نفسها صفة لازمة ، بل هي بحسب النّسبة والإضافة ، فيكون يمين هذا ما يكون شمالُ هذا ، ويكن أمام هذا ما يكون خلف هذا ، ويكون فوق هذا ما يكون تحت هذا .

لكن جهة العلو للأفلاك لا تتغير ، فالمحيط هو العلو ، والمركز هو السّفل، مع أن وجه الأرض التي وضعها الله للأنام ، وأرساها بالجبال هو الذي عليه الناس والبهائم ، والشجر والنبات ، والجبال والأنهار الجارية .

فأما الناحية الأخرى من الأرض ، فالبحر محيط بها ، وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم . ولو قدر أن هناك أحد لكان على ظهر الأرض ولم يكن من في هذه الجهة تحت مَنْ في هذه الجهة ، ولا مَنْ في هذه تحت من في هذه ، كما أن الأفلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر ، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي ولا بالعكس ، وإن

(١) في الفتاوى الصغرى : يساره .

كان الشمالى هو الظاهر لنا فوق الأرض وارتفاعه بحسب بُعْد الناس عن خط الاستواء ، فما كان بعده عن خط الاستواء ثلاثين درجة مثلاً ، كان ارتفاع القطب عنده ثلاثين درجة ، وهو الذى يُسمّى عرض البلد .

فكما أنّ جوانب الأرض المحيطة بها ، وجوانب الفلك المستدير ليس بعضها فوق بعض ، ولا تحته ، فكذلك من يكون على الأرْض من الحيوان والنّبات والأثقال لا يُقال أنّهُ تحت أُولئك ، وإنّما هذا خيال يتخيله الإنسان ، وهو تحت إضافى ، كما لو كانت نملة تمشى تحت سقف ، فالسّقف فوقه ، وإن كانت رجلاها تحاذيه ، وكذلك من علق منكوساً فإنه تحت السماء ، وإن كانت رجلاه على السماء ، وكذلك قد يتوهّم الإنسان إذا كان فى أحَد جانبى الأرض أو الفلك أن الجانب الآخر تحتهُ.

وهذا أمر لاَ يتنازع فيه اثنان ممن يقول أنَ الأفلاك مُستديرة .

واستدارة الأفلاك كما أنه قول أهل الهيئة والحساب ، فهو الذى عليه عُلماء المسلمين كما ذكره أبو الحسين بن المنادى[1] وأبو محمد بن حزام[2] وأبو الفرج ابن الجوزى[3] وغيرهم أنه مُتفق عليه بين علماء المسلمين .

وقد قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[4] ، قال ابن عباس : فى فلكه مثل فلكة المغزل .

---

(١) هو أحمد بن جعفر أبو الحسن بن المنادى ، عالم بالتفسير والحديث ، صنف فى علوم القرآن الكريم . المئات من الكتب ، توفى سنة ٣٣٦ هـ .

(٢) هو أبو محمد على بن أحمد بن حزم ، أحد كبار أئمة المسلمين في الأندلس . نُسب إليه خلق كثير ، كانت له ولأبيه رئاسة الوزارة وتدبير المملكة ، ثم انصرف للعلم فعرف وبلغت مصنفاته ٤٠٠ كتاباً ، توفى سنة ٤٥٦ هـ .

(٣) هو عبد الرحمن بن على بن الجوزى الإمام ، صاحب المصنفات الكثيرة والجيدة منها صفة الصفوة وتفسير « زاد المسير » وغيرها توفى ببغداد سنة ٥٩٧ هـ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٣ .

و « الفلك فى اللغة » : هو المستدير ومنهُ قولُهم : تفلَّكَ ثَدْىُ الجارية : إذا استدارَ . وكلُّ مَنْ جَعَل الأفلاكَ مُستديرةً يعلمُ أن المحيط هو العالى على المركز فى كل جانب . ومن توهم أن من يكون فى الفلك من ناحية يكون تحته من فى الفلك من الناحية الأخرى فى نفس الأمر فهو متوهم عندهم .

وإذا كان الأمر كذلك فإذا قُدِّر أنَّ العرش مستديرٌ محيطٌ بالمخلوقات كان هو أعلاها وسقفها وهو فوقها مُطلقاً ، فلا يَتَوجَّه إليه ، وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو لا من جهاته الباقية أصلاً[(١)].

ومن توجه إلى الفلك التاسع ، أو الثامن ، أو غيره من الأفلاك من غير جهة العلو ، كان جاهلاً باتّفاق العقلاء ، فكيف بالتوجُّه إلي العرشِ أو إلى ما فوقه ، وغاية ما يقدر أن يكون كروى الشكل والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله فإن السموات السبع والأرض فى يده أصغر من الحمصة فى يد أحدنا .

---

(١) انظر الفتاوى الصغرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

التوجه والدعاء

وأما قول القائل : إذا كان كروياً والله من ورائه محيط به بائن عنه ، ما فائدة أن العبد يتوجّه إلى الله حين دُعائه وعبادته ، فيقصدُ العلوَّ دون التَحت، فلا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي ؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً بطلب العلوِّ ، لا يلتفت يُمْنَة ولا يُسْرَةً ، فأخبرونا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فُطِرْنا عليها ؟

فيُقال له : هذا السؤال إنما ورد لتوهم المتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض ، وتحت ما على وجه الأرض من الآدميين والبهائم ، وهذا غلطٌ عظيم ، فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة لكان تحتها من كل جهة ، فكان يلزم أن يكون الفلك تحت الأرض مطلقاً وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق الأرض مطلقاً .

وأهل الهيئة يقولون : لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وأُلقى في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز ، حتى لو أُلقى من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا جميعاً في المركز .

ولو قُدِّرَ أن إنسانين التقيا في المركز بدل الحجر لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت الآخر بل كلاهما فوق المركز ، وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب .فإنه لو قدر أن رجلا بالمشرق في السماء أو الأرض ، ورجلٌ بالمغرب في السماء أو الأرض ، لم يكن أحدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه أو رجلاه أو بطنه أو ظهره أو جنبه[1] مما يلي السماء ، أو مما يلي

---

(١) في الفتاوى الكبرى : جانبه .

الأرض ، وإذا كان مطلوب أحدهما ما فوق الفلك لم يطلبه الآخر إلا من الجهة العليا ، لم يطلبه من جهة رجليه أو يمينه أو يساره . لوجهين :

أحدهما :

إن مطلوبهُ من الجهة العليا أقرب إليه من جميع الجهات ، فلو قدر رجل أو ملك يصعد إلى السماء أو إلى ما فوق كان صعوده مما يلى رأسه إذا أمكنه ذلك ، ولا يقول عاقل أنه يخرق الأرض ثم يصعد من تلك الناحية ، ولا أنه يذهب يميناً أو شمالاً أو أماماً أو خلفاً إلى حيث أمكن من الأرض الفلك هنالك فوقه ، فيكون ذهابه إلى الجهات الخمس تطويلاً وتعباً من غير فائدة .

ولو أن رجلاً أراد أن يخاطب الشمس والقمر فإنه لا يخاطبه إلاّ من الجهة العليا ، مع أنّ الشمس والقمر قد تشرق وقد تغرب فتنحرف عن سمت [(١)] الرّأس ، فكيف بما هو فوق كل شيء دائماً لا يأفل ولا يغيب سبحانه وتعالى ؟

وكما أن الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق وهو الخط المستقيم ، فالطلب الإرادى الذى يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب ؟ ويعدل إلى طريق منحرف . طويل ؟ والله تعالى فطر عباده على الصّحة والاستقامة إلاّ من اجتالته الشّياطين فأخرجته عن فطرته التى فطر عليها [(٢)].

الوجه الثانى :

إنه إذا قصد السّفل بلا علوّ كان منتهى قصده إلى المركز ، وإن قصده أمامه أو وراءه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو ، كان منتهى قصده

---

(١) سمت الرأس : أى هيئتها .

(٢) انظر الفتاوى الصغرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

أجزاء الهواء ، فلا بدَّ له من قصد العلو ضرورةً ، سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها .

ولو فرض أنه قال: أقصده من اليمين من العلو ، أو من السُّفل مع العلو : كان هذا بمنزلة من يقول : أريد أن أحج من المغرب فأذهب إلى خراسان ، ثم أذهب إلى مكة ، بل بمنزلة من يقول أصعد إلى الأفلاك فأنزل فى الأرض ثم أصعد إلى الفلك من الناحية الأخرى ، فهذا وإن كان ممكناً فى المقدور لكنَّه يستحيل من جهة امتناع إرادة القاصد له ، وهو كان مقصوده معبوده الذى يعبده ويتوكل عليه . وإذا توجه إليه على غير الصراط المستقيم كان مسيره منكوساً معكوساً [1] .

و « أيضاً » فإن هذا يجمع فى سيره وقصده بين النفى والإثبات ، بين أن يتقرب إلى المقصود ، ويتباعد عنه ، ويريده ، وينفر منه ، فإنه إذا توجه إليه من الوجه الذى هو عنه أبعد وأقصى ، وعدل عن الوجه الأقرب الأدنى ، كان جامعاً بين قصدين مُتناقضين ، فلا يكون قصده له تاماً إذ القصدُ التام ينفى نقيضه وضده وهذا معلوم بالفطرة .

فإن الشخص إذا كان يحب النبى ﷺ محبة تامة ويقصده ، أو يحب غيره مما يحب ـ سواء كانت محبة[2] محمودة أو مذمومة ـ ومتى كانت المحبة تامة، وطلب المحبوب طلبه من أقرب طريق يصل إليه ، بخلاف ما إذا كانت المحبة مترددة مثل أن يُحب ما يكره محبته فى الدين ، فتبقى شهوته تدعوه إلى قصده ، وعقله ينهاه عن ذلك ، فتراه يقصد من بعيد ، كما تقول العامة : رجل إلى قدام ، ورجل إلى خلف .

وكذلك إذا كان فى دينه نقص ، وعقله يأمره بقصد المسجد أو الجهاد ،

(١) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية .

(٢) أنظر فى موضوع المحبة وأنواعها وكل ما يتعلق بها كتاب « قاعدة فى المحبة » لشيخ الاسلام ابن تيمية .

أو غير ذلك من المقصودات التى تُحبّ فى الدين ، وتكرهها النفس ، فإنه يبقى قاصداً لذلك من طريق بعيد : متباطئاً فى السير ، وهذا كله معلوم بالفطرة .

وكذلك إذا لم يكن القاصد يريد الذّهاب بنفسه ، بل يريد خطاب المقصود ودعاءه ونحو ذلك . فإنه يخاطبه من أقرب جهة يسمع دعاءه منها ، وينال به مقصوده ، إذا كان القصد تاماً ، ولو كان رجل من مكان عال ، وآخر يناديه ، لتوجه إليه وناداه ، ولو حط رأسه فى بئر وناداه ، بحيث يسمع صوته لكان هذا ممكنا ، لكن ليس فى الفطرة أن يفعل ذلك من يكون قصده إسماعه من غير مصلحة راجحة ، ولا يفعل نحو ذلك إلا عند ضعف القصد ونحوه .

و « حديث الإدْلاء » الذى روى من حديث أبى هريرة وأبى ذر قد رواه الترمذى وغيره من حديث الحسن [1] عن أبى هريرة وهو منقطع ، فإن الحسن لم يسمع أبى هريرة ، ولكن يقوّيه حديث أبى ذرّ المرفوع ، فإن كان ثابتا فمعناه موافق لهذا ، فإن قوله : « **لوْ أدلى أحدكم بحبل لهبط على الله** »[2] إنما هو تقدير مفروض : أى لو وقع الإدلاء لوقع عليه ، لكنه لا يمكن أن يُدلى أحد على الله شيئاً ، لأنه عال بالذات ، وإذا هبط شىء إلى جهة الأرض، وقف فى المركز ولم يصعد إلى الجهة الأخرى ، لكن بتقدير

(١) هو الحسن ابن أبى الحسن اسم ابيه سيار مولى زيد بن ثابت الأنصارى أبو سعيد ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رأى عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ وكان من علماء التابعين بالقرآن والفقه والأدب من عباد البصرة وزهادهم مات سنة ١٠١ هـ وله تسع وثمانين سنة انظر المشاهير / ٨٨ .

(٢) أنظر مسند أحمد ٣٧٠/٢ ، وفى الترمذى فى التفسير ، تفسير سورة الحديد ، ونص الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نبى الله ﷺ جالس وأصحابه ، إذ أتى عليهم سحاب ، فقال نبى الله ﷺ : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا العنان (السحاب) هذه روايا الأرض يسوقه الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ، ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها الرقيع : سقف محفوظ وموج مكفوف ، ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟=

فرض الإدلاء يكون ما ذكر من الجزاء .

فهكذا ما ذكره السائل إذا قدر أن العبد يقصده من تلك الجهة ، كان هو سبحانه ـ يسمع كلامه ، كان متوجها إليه بقلبه ، لكن هذا مما تمنع منه الفطرة ، لأنّ قصد الشيء القصد التام ينافى قصد ضده [1] .

فكما أن الجهة العليا بالذات تنافى الجهة السفلى ، فكذلك قصد الأعلى بالذات يُنافى قصده من أسفل ، فكما أن ما يهبط إلى جوف الأرض يمتنع صعوده إلى تلك الناحية لأنها عالية ، فتردّ الهابط بعلوها ، كما أن الجهة العليا من عندنا ترد مايصعد إليها من الثّقيل ، فلا يصعد الثّقيل إلا برافع يرفعه يدافع به ما فى قوته من الهبوط ، فكذلك ما يهبط من أعلى الأرض إلى أسفلها وهو المركز ، لايصعد من هناك إلى ذلك الوجه إلاّ برافع يرفعه ، يدافع به ما فى قوته من الهبوط إلى المركز ، فإن قدر أن الدافع أقوى كان صاعداً به إلى الفلك من تلك الناحية ، وصعد به إلى الله .

وإنما يسمى هبوطاً باعتبار ما فى أذهان المخاطبين ، أن ما يحاذى أرجلهم يكون هابطاً ويسمى هُبوطاً مع تسمية إهباطه : إدْلاء ، وهو إنما يكون إدلاء حقيقياً إلى المركز ، ومن هناك إنما يكون مداً للحبل والدلو لا إدلاء له . لكن الجزاء والشرط مقدّران لا محققان .فإنّه قال : لو أدلى لهبط ، أى لو أن هناك إدلاء لفرض أن هناك هبوطاً وهو يكون إدلاءً وهبوطا إذا قدر أن

= قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة ، ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن فوق ذلك سماوين ما بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عدّ سبع سماوات ، وما بين كل سماوين كما بين السماء والأرض ، ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بُعد ما بين السماوين ، ثم قال : هل تدرون ما الذى تحتكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها الأرض ... ثم قال : والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ، ثم قرأ ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ .

(١) انظر الفتاوى الصغرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

السّموات تحت الأرض ، وهذا التّقدير منتف ، ولكن فائدته بيان الإحاطة والعلوّ من كل جانب .

وهذا المفروض مُمتنع فى حقّنا لا نقدر عليه ، فلا يتُصور أن يهبط على اللهشىء ، لكن الله قادر على أن يخرق من هنا إلى هناك بحبل ، ولكن لا يكون فى حقّه إدلاء ، فلا يكون فى حقه هبوطاً عليه .

كما لو خُرق بحبل من القطب إلى القطب أو من مشرق الشّمس إلى مغربها ، وقدّرنا أنّ الحبل مرّ فى وسط الأرض ، فإن الله قادر على ذلك كله.

ولا فرق بالنسبة إليه على هذا التقدير من أنْ يخرق من جانب اليمين منا إلى جانب اليسار ، أو من جهة أمامنا إلى جهة خلفنا ، أو من جهة رؤوسنا إلى جهة أرجلنا إذا مرّ الحبل بالأر ض .

فعلى كُلّ تقدير قد خُرقَ بالحبل من جانب المحيط إلى جانبه الآخر ، مع خرق المركز ، وبتقدير إحاطة قبضته بالسموات والأرض . فالحبل الذى قُدّر أنه خرق به العالم وصل إليه ، ولا يسمى شىء من ذلك بالنسبة إليه لا إدلاء ولا هبوطاً[١] .

وأما بالنسبة إلينا فإن ما تحت أرجلنا : تحتٌ لنا ، وما فوقَ رؤوسنا : فوقٌ لنا، وما نُدليه من ناحية رؤو سنا إلى ناحية أرجلنا نتخيل أنه هابطٌ ، فإذا قدر أن أحدَنا أدلى بحبل كان هابطاً على ما هناك ، لكن هذا تقدير ممتنع فى حقنا.

والمقصود به بيان إحاطة الخالق سبحانه وتعالى ، كما بيّن أنّه يقبض السّموات ، ويطوى الأرض ، ونحو ذلك ، مما فيه بيان إحاطته بالمخلوقات .

---

(١) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

ولهذا قرأ في تمام هذا الحديث : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[١] .

وهذا كله كلام على تقدير صحته فإن الترمذى[٢] لما رواه قال : وفسّره بعض أهل العلم : بأنه هبط على علم الله .

وبعض الحلولية والاتحادية يظنُّ أن فى هذا الحديث ما يدلُّ على قولهم الباطل وهو : أنه حالٌّ بذاته فى كلِّ مكان ، أو أنّ وجوده وجود الأمكنة ، ونحو ذلك .

والتحقيق : أن الحديث لا يدل على شىء من ذلك إن كان ثابتاً ، فإنّ قوله : « لو أُدلى بحبل لهبط » يدل على أنه ليس فى المدلى ، ولا فى الحبل ، ولا فى الدلو ، ولا فى غير ذلك . وإنما يقتضى[٣] أنه من تلك الناحية .

وكذلك تأويله بالعلم ، تأويل ظاهر الفساد ، من جنس تأويلات الجهمية .بل بتقدير ثبوته يكون دالاً على الإحاطة .

والإحاطة قد عُلم أن الله قادرٌ عليها ، وعُلمَ أنّها تكون يوم القيامة بالكتاب والسُّنّة ، فليس فى إثباتها فى الجملة ما يُخالفُ العقل ولا الشَّرْع ، لكنْ لا نتكلم إلا بما نعلم ، ومالم نعلمه أمسكنا عنه ، وما كان مقدّمةُ دليله مشكوكاً فيها عند بعض النّاس ، كان حقُّهُ أنْ يُشكَّ فيه حتى يتبيّن له الحقُّ ، وإلاّ فليسكت عمّا لا يعلم .

وإذا تبيّن هذا ، فكذلك قصده يقصده إلى تلك الناحية ، ،لو فُرِضَ أنا

---

(١) سورة الحديد الآية ٣ .

(٢) قال الترمذى فى أبواب تفسير القرآن ، تفسير سورة الحديد ، قالوا : إنما هبط على علم الله وقدسيته وسلطانه ، وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان .

(٣) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

فعلناه لكنا قاصدين له على هذا التقدير ، لكنَّ قصدُنا له بالقصد إلى تلك الجهة مُمتنع فى حقِّنا ، لأنَّ القصد التام الجازم يوجب طلبَ المقصود بحسب الإمكان .

ولهذا قد بيّنا فى غير هذا الموضع ، لما تكلّمنا على تنازع النّاس فى النيّة المجردة عن الفعل ، هل يُعاقب عليها أم لايعاقب ؟ بيّنا أنّ « الإرادة الجازمة» توجب أن يفعل المريد ما يقدر عليه من المراد ، ومتى لم يفعل مقدورهُ لم تكن إرادته جازمة ، بل يكون همّاً « **وَمَنْ هم بسيئة فلم يفعلها لم يُكتب عليه ، فإن تركها لله كتب له حسنة** »[1] .

ولهذا وقع الفرق بين همّ يوسف عليه السلام ، وهمّ امرأة العزيز ، كما قال الإمام أحمد[2] : « الهمُّ همّان : هم خطرات ، وهم إصرارٍ ، فيوسف عليه السلام هم هما تركه لله فأُثيب عليه ، وتلك همت هم إصرار ففعلت ماقدرت عليه من مراودتها ، وإن لم يحصل لها المطلوب » .

والذين قالوا يُعاقب بالإرادة احتجوا بقوله ﷺ : « **إذا التقى المُسْلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول فى النار** » ، قالوا : يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ ، قال : « **إنه أراد قتل صاحبه** » وفى لفظ : « **إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** »[3] فهذا أراد إرادةً جازمةً ، وفعل ما يقدر عليه ، وإن لم يدرك مطلوبه ، فهو بمنزله امرأة العزيز ، فمتى كان القصدُ جازما لزم أن يفعل القاصد ما يقدر عليه فى حصول المقصود ، وإذا كان قادراً على حصول مقصوده بطريق مستقيم امتنع مع القصد التام أن يُحصله بطريق معكوس بعيد .

---

(1) حديث صحيح متفق عليه رواه البخارى فى التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ومسلم فى الإيمان ١٢٨ – ١٣١ : باب إذا هم العبد بحسنة وغيرهما .

(2) هو : الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه سبقت ترجمته .

(3) حديث صحيح متفق عليه رواه البخارى فى صحيحه : (١/١٥) ، ومسلم فى صحيحه فى كتاب الفتن وغيرها .

فلهذا امتنع فى فطر العباد عند ضرورتهم ودعائهم لله تعالى وتمام قصدهم له أن لا يتوجهوا إليه إلا توجها مستقيماً ، فيتوجهون إلى العلو دون سائر الجهات ، لأنهُ الصراطُ المستقيم القريبُ ، وما سواه فيه من البعد والإنحراف والطول ما فيه ، فمع القصد التامِّ الذى هو حال الداعى العابد ، والسّائل المضطر يمتنع أن يتوجه إليه إلا إلى العلوِّ ، ويمتنع أن يتوجه إليه إلى جهة أخرى ، كما يمتنع أنْ يُدلى بحبلٍ يهبطُ عليه ، هذا ، والله أعلم.[١]

* * *

---

(١) انظر الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

الفطرة فى الدعاء والتوجه

وأمّا من جهة الشريعة فإن الرسل صلوات الله عليهم بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها ، لا بتديل الفطرة وتغييرها . قال ﷺ فى الحديث المتفق عليه : «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهودانه أو يُنصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء** » أى مجتمعة الخلق سوية الأطراف ، ليس فيها نقص كجدْع وغيره « هل ترون فيها من نقص [1]» هل تحسُّونَ فيها منْ جدعاء .

وقال الله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[2]

فجاءت الشريعة بالعبادة والدعاء بما يوافق الفطرة ، بخلاف ما عليه أهل الضلال من المشركين والصابئين المتفلسفة وغيرهم ، إنهم غيَّروا الفطرة فى العلم والإرادة جميعاً ، وخالَفُوا العقل والنَّقْل ، كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع .

وقد ثبت فى الصحيحين[3] من غير وجه أن النبى ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه ، ولا عن**

---

(١) انظر صحيح البخارى فى الجنائز ، باب إذا أسلم الصبى ، وباب ما قيل فى أولاد المشركين ومسلم فى القدر برقم ٢٦٥٨ والجدعاء : مقطوعة الأذن .

(٢) سورة الروم الآية ٣٠ ﴿ فأقم وجهك ﴾ أى قومه وعدله ﴿ للدين ﴾ أى لدين التوحيد والإسلام ﴿حنيفا ﴾ أى مائلا إليه مستقيما عليه ﴿ فطرة الله ﴾ أى إلزموها وهى دين الاسلام ﴿ فطر الناس عليها﴾ أى جبلهم وطبعهم عليها ﴿ لخلق الله ﴾ لدينه الذى فطرهم عليه ﴿ وذلك الدين القيم ﴾ أى المستقيم الذى لا عوج فيه .

(٣) رواه البخارى فى المساجد ، باب حك المخاط بالحصى من المسجد ، وباب لا يبصق عن يمينه فى الصلاة . ومسلم فى المساجد ، باب النهى عن البصاق فى المسجد .

يمينه فإن عن يمينه مَلَكاً ، ولكن ليبصق عن يساره أو تحت رجله » وفى رواية : أنه أذن أن يبصق فى ثوبه .

وفى حديث أبى رُزين[1] المشهور الذى رواه عن النبى ﷺ لما أخبر النبى ﷺ **« أنهُ ما من أحد إلا سيخلوا به ربه »** فقال له أبو رُزين : كيف يسمعنا يارسول الله ، وهو واحد ونحن جميع ؟ فقال : **« سأنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله ، هذا القمر آية من آيات الله كلهم يراه مُخلياً به ، فالله أكبر[2] »**

ومن المعلوم أن من توجه إلى القمر وخاطبه إذا قدّر أن يُخاطبه لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه فهو مستقبل له بوجهه مع كونه فوقه ومن الممتنع فى الفطرة ، أن يستدبره ويخاطبه مع قصده التام له ، وإن كان ذلك مُمكناً وإنما يفعل ذلك مَنْ ليس مقصوده مخاطبته ، كما يفعل مَنْ ليس مقصوده التوجُّه إلى شخص بخطاب فيُعرض عنه بوجهه ويُخاطب غيره ليسمع هو الخطاب ، فأما مع زوال المانع فإنما يتوجه إليه .

فكذلك العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه يستقبل ربه وهو فوقه ، فيدعوه من تلقائه ، لا من يمينه ، ولا من شماله ، ويدعوه من العلو لا من السفل ، كما إذا قدر أن يخاطب القمر .

وقد ثبت عنه ﷺ فى الصحيحين[3] قال : **« لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم فى الصلاة ، أو لا ترجع إليهم أبصارهم »** .

واتفق العلماء على أن رفع المصلّى بصَرَهُ إلى السماء منهيٌّ عنه ، وروى

---

(١) هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلى . من الصحابة الكرام من أهل الطائف .

(٢) أنظر سنن أبى داود فى السنة ، باب الرؤية برقم ٤٧٣١ ، وابن ماجه فى المقدمة برقم ١٨٠ ، الإمام أحمد ١١/٤ و ١٢ .

(٣) انظر صحيح مسلم فى الصلاة ، باب النهى عن رفع البصر إلى السماء ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، أبو داود فى الصلاة ، باب النظر فى الصلاة برقم ٩١٢ ، النسائى فى السهو ، باب النهى عن رفع البصر إلى السماء عند الدعاء .

أحمد عن محمد بن سيرين[1] : أن النبى ﷺ كان يرفع بصره فى الصلاة إلى السماء حتى أنزل الله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[2] فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده .

فهذا مما جاءت به الشّريعة تكميلاً للْفطرة ، لأن الدّاعى السّائل الذى يُؤْمر بالخشوع ـ وهو الذل والسُّكون ـ لا يُناسب حاله أن ينظرَ إلى ناحية من يدعوه ويسألُه ، بل يُناسب حاله الإطراق ، وغض البصرأمامه .

وليس نهيُ المصلى عن رفع بصره فى الصّلاة رداً على « أهل الإثبات» الذين يقولون أنّه على العرش ، كما يظنه بعض جُهّال الجهميّة ، فإن الجهميّة عندهم لا فرق بين العرش وقعر البحر ، فالجميع سواء ، لو كان لذلك لم ينه عن رفع البصر إلى جهة ، ويؤمر بردّه إلى أخرى لأنْ هذه عند الجهمية سواء .

وأيضاً فلو كان الأمر كذلك ، لكان النهى عن رفع البصر شاملاً لجميع أحوال العبد .

وقد قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾[3] فليس العبد بمنهى عن رفع بصره مطلقاً ، وإنما نهى فى الوقت الذى يؤمر فيه بالخشوع لأن خفض البصر من تمام الخشوع ، كما قال تعالى : ﴿ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

---

(١) هو محمد بن سيرين الأنصارى أبو بكر بن أبى عمرة البصرى تابعى ثقة ثبت عابد كبير القدر كان لا يرى الرواية بالمعنى من الطبقه الثالثه . كان مشهوراً بالعبادة والتفسير توفى سنة ١١٠ هـ أخرج له أصحاب الأصول الستة أنظر تقريب التهذيب ٢ / ١٦٩ ترجمة ٢٩٥ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١ – ٢ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٤) سورة القمر الآية ٧ .

خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾[١] .

و « أيضاً » فلو كان النهى عن رفع البصر إلى السماء وليس فى السماء إلّه لكان لافرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات .

ولو كان مقصوده أن ينهى الناس أن يعتقدوا أن الله فى السماء ، أو يقصدوا بقلوبهم التوجه إلى العلو لبيّن لهم ذلك ، كما بين لهم سائر الأحكام ، فكيف وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، ولا فى قول سلف الأمة حرفٌ يُذكر فيه أنه ليس الله فوق العرش ، أو أنه ليس فوق السماء ، أو أنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا محايث[٢] له ، ولا مُباين له ، أو أنه لا يقصد العبد إذا دعاه العلوّ دون سائر الحهات ؟؟

بل جميع مايقوله الجهمية [٣] من النفى ويزعمون أنّه الحق ليس معهم به حرف من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها ، بل الكتاب والسُّنّة وأقوال السّلف والأئمة مملوءة بما يدلّ على نقيض قولهم ، وهم يقولون :أن ظاهر ذلك كُفْرٌ ، فنُؤوِّلُ ، أَوْ نفوِّض .

فعلى قولهم ليس فى الكتاب والسنة وأقوال السّلف والأئمّة فى هذا الباب إلا ما ظاهره كُفر ، وليست فيها من الإيمان فى هذا الباب شىء .

والسّلب الذى يزعمون أنّه الحق الذى يجب على المؤمن ، أو خواص

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٥ .

(٢) محايث : أى مخالط .

(٣) هم أتباع جهم بن صفوان أبو محرز الراسبى قال عنه الذهبى فى تذكره الحفاظ رقم (١٥٨٤) : (الضال المبتدع رأس الجهمية هلك فى زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئا لكنه زرع شراً عظيما وقال الطبرى عنه : إنه كان كاتبا للحارث بن سريج الذى خرج فى خراسان فى آخر دولة بنى أمية (انظر حوادث سنة ١٢٨) وكان جهم هذا تلميذا للجعد بن درهم الزنديق الذى كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن وفيه يقول الذهبى فى ميزان الاعتدال رقم ١٤٨٢ : (الجعد بن درهم عداده فى التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر) انظر الفرق بين الفرق (٢١١) . تحق : محى الدين عبد الحميد ، حا: ٢ .

المؤمنين اعتقاده عندهم ، لم ينطق به رسول ولا نبى ولا أحد من ورثة الأنبياء والمرسلين .

والذى نطقت به الأنبياء وورثتهم ليس عندهم هو الحق بل هو مخالف للحق فى الظاهر ، بل وحذاقهم [1] يعلمون أنه مخالف للحق فى الظاهر والباطن .

لكن هؤلاء منهم من يزعم أنَ الأنبياء لم يمكنهم أن يُخاطبوا الناس إلاّ بخلاف الحق الباطن ، فلبسوا أو كذبوا لمصلحة العامة .

فيُقال لهم : فهلاً نطقوا بالباطن لخواصهم الأذكياء الفُضلاء إنْ كان ما يزعمونه حقاً ؟

وقد علم أنّ خواص الرُّسل هم على الإثبات أيضاً ، وإنه لم ينطق بالنّفى أحد منهم إلا أن يُكذَب على أحدهم ، كما يقال عن عمر : أن النبى ﷺ وأبا بكر كانا يتحدثان وكنت كالزنجى بينهما . وهذا مختلق باتفاق أهل العلم ، وكذلك ما نُقل عن على وأهل بيته أن عندهم علماً باطناً يختلف عن الظاهر الذى عند جمهور الأمة .

وقد ثبت فى الصحاح وغيرها عن على رضى الله تعالى عنه أنه لم يكن عندهم عن النبى ﷺ شيء ليس عند النّاس ، ولا كتاب مكتوب إلا ما كان فى الصّحيفة[2] ، وفيها : « الديّات وفكاك الأسير ، وأن لا يُقتَلَ مسلم بكافرٍ » .

---

(١) حذاقهم : أى متقنيهم وأذكيائهم .

(٢) أثر صحيح أنظر مسند أحمد ٨١/١ ، ١٢٦ ، والبخارى فى فضائل المدينة ، باب حرم المدينة برقم ١٨٧٠ ، وفى الجزية والموادعة ، باب ذمة المسلمين وجوارهم برقم (٣١٧٢) ، ومسلم فى الحج ، باب فضل المدينة برقم (١٣٧٠) ، فى العتق ، باب تحريم تولى العتيق غير مواليه برقم (١٣٧٠)
وفيه: عن إبراهيم التيمى عن أبيه ، قال :
خطبنا على فقال : من زعم أن عندنا شيئًا نقرؤه إلا كتاب الله وحده وهذه الصحيفة ، صحيفة فيها أسنان الإبل ، وأشياء من الجراحات ، فقد كذب ، قال : وفيها قال رسول الله ﷺ « المدينة حرم ما بين عير إلى ثور ، من أحدث فيها حدثا أو آوى مُحدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا ، وذمةُ المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم » .

ثم أنه من المعلوم أن من جعله الله هادياً مبلغا بلسان عربى مبين إذا كان لا يتلكم أبداً قط إلا بما يخالف الحق الباطن الحقيقى فهو إلى الضلال والتدليس أقرب منه إلى الهدى والبيان ، وبسط الرد عليهم له موضع غير هذا .

والمقصود أن ما جاءَ عن النبي ﷺ فى هذا الباب وغيره كله حق ، يصدق بعضه بعضاً ، وهو موافق لفطرة الخلائق ، وما جعل فيهم من العقول الصّريحة والقصود الصحيحة لا يخالف العقل الصريح ولا القصد الصّحيح ولا الفطرة المستقيمة ، فالنّقل الصّحيح الثابت عن رسول الله ﷺ .

وإنما يظنُّ تعارضهما من صدق بباطل من المنقول ، أو فهم منه مالم يدل عليه ، أو إذا اعتقد شيئاً ظنه من العقليات وهو من الجهليات ، أو من المكشوفات وهو من المكسوفات ، إذا كان ذلك معارضاً لمنقول صحيح ، وإلا عارض بالعقل الصريح ، أو الكشف الصحيح ، ما يظنه منقولاً عن النبى ﷺ ويكون كذباً عليه ، أو ما يظنه لفظاً دالاً على معنى ولا يكون دالا عليه ، كما ذكروه فى قوله ﷺ : « **الحجر الأسود يمين الله فى الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه** »[2] حيث ظنوا أن هذا وأمثاله محتاج إلى التأويل ، وهذا غلط منهم .

لو كان هذا اللفظ ثابتاً عن النبى ﷺ ، فإن هذا اللفظ صريح فى أن الحجر الأسود ليس هو من صفات الله إذ قال هو « يمين الله فى الأرض » فتقييده بالأرض يدل على أنه ليس هو يده على الأطلاق ، فلا يكون اليد الحقيقية . ، وقوله ﷺ : « فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل

(١) انظر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية .

(٢) انظر « كنز العمال ٢١٤/١٢ – ٢١٧ حيث ورد بألفاظ متقاربة ليس منها هذه الرواية وأقرب الروايات إليها مارواه جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده » عن جابر .

يمينه» صريح فى أن مصافحه ومقبله ليس مُصافحاً لله ولا مُقبِّلاً ليمينه ، لأن المشبه ليس هو المشبه به ، وقد أتى بقوله : « فكأنما » وهى صريحة فى التشبيه . وإذا كان اللفظ صريحاً فى أنه جعله بمنزلة « اليمين » لا أنه نفس اليمين ، كان من اعتقد أن ظاهره أنه حقيقة اليمين ، قائلاً للكذب المبين[1] .

* * *

(١) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

عود على بدء

فهذا كلّه بتقدير أنْ يكون العرش كرويُّ الشّكل ، سواءِ كان هو الفلك التّاسع أو غير الفلك التاسع ، وقد تبين أن سطحهُ هو سَقفُ المخلوقات ، وهو العالى عليها من جميع الجوانب ، وأنه لا يجوز أن يكون شيء مما فى السماء والأرض فوقه ، وأن القاصد إلى ما فوق العرش بهذا التقدير إنما يقصد إلى العلو ، لا يجوز فى الفطرة ولا فى الشريعة مع تمام قصده أن يقصد جهة أخرى من جهاته الست ، بل هو أيضاً يستقبله بوجهه مع كونه أعلى منه ، كما أخبر به النبى ﷺ مثلاً من المثل بالقمر ، ولله المثل الأعلى ، وبيّن أنّ مثل هذا إذا جاز فى القمر وهو آية من آيات الله فالخالق أعلى وأعظم .

وأما إذا قدر العرش ليس كروى الشكل بل هو فوق العالم من الجهة التى هى وجهه ، وأنّه فوق الأفلاك الكروية ، كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكرويّ ، أو غير ذلك من المقادير التى يقدر فيها أنّ العرش فوق ماسواه ، وليس كرويّ الشّكل ، فعلى كلّ تقدير لا يتَوَجّهُ إلى الله إلا إلى العلوّ ، لا إلى غير ذلك من الجهات [1] .

أى : على الأرض ، كقوله : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [2]﴾ أى على جذوع النخل .

فمن تكون الجارية [3] أعلم بالله منه ، لكونه لا يعرف معبوده ، فإنه لا يزال مظلم القلب ، لا يستنير بأنواع المعرفة والإيمان ، ومن أنكر هذا

(١) انظر الفتاوى الكبرى لشيخ الاسلام ابن تيمية .

(٢) سورة طه الآية ٧١ .

(٣) أى الجارية التى سألها رسول الله ﷺ قائلاً لها أين الله فقالت فى السماء ...

القول ، فليؤمن به ، وليجرّب ، ولينظر إلى مولاه من فوق عرشه ، بقلبه مبصراً من وجه ، أعمى من وجه كما سبق ، مبصراً من جهة الإثبات والوجود والتحقيق ، أعمى من جهة الحصر ، والتحديد ، والتكييف ، فإنه إذا علم ذلك وجد ثمرته إن شاء الله تعالى ، ووجد بركته ونوره عاجلاً أو آجلاً ولا ينبئك مثل خبير ، والله الموفق والمعين .

فقد ظهر أنه على كل تقدير لا يجوز أن يكون التوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه ، وسواء قدر مع ذلك أنه محيط بالمخلوقات ، كما يحيط بها فهو على التقديرين يكون فوقها مبايناً لها .

فقد تبين أنه على هذا التقدير في الخالق ، وهذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض ، وهذا يزيل كل شبهة .

وإنما تنشأ الشُّبهة من اعتقادين فاسدين :

(أحدهما) :

أن يظن أن العرش إذا كان كروياً والله فوقه ، وجبَ أنْ يكونَ الله كروياً .

(ثانيهما) :

ثم يعتقد أنّه إذا كان كرويّاً فيصحّ التوجُّه إلى ما هو كروي كالفلك التاسع من جميع الجهات .

وكل من هذين الإعتقادين خطأ وضلال ، فإن الله تعالى مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كُرويّ ، سواء كان هو التاسع و غيره ، لا يجوز أن يَظنّ أنه مُشابه في أشكالها ، كما لا يجوز أن يُظن أنه مشابه لها في أقدارها ، ولا في صفاتها ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[1] .

بل قد تبين أنه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل

---

(١) سورة الإسراء الآية ٤٣ .

الفلك فى الفلك ، وأنها أصغر عنده من الحمصة والفلفلة ، ونحو ذلك .

فى يد أحدنا ، فإذا كانت الحمصة أو الفلفلة بل الدرهم والدينار ، أو الكرة التى يلعب بها الصبيان ، ونحو ذلك فى يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك ، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الانسان على ذلك وإحاطته ، هل يكون الإنسان كالفلك ؟ فالله ـ ولله المثل الأعلى ـ أعظم من أن يُظَنَّ ذلك به ، وإنما يظنه الذين لم يقدروا الله حق قدره ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وكذلك اعتقادهم الثانى وهو أن ما كان فلكاً فإنَّه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق أهلِ العقل الذين يعلمون الهيئة وأهل العقل الذين يعلمون أن القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الامكان .

فقد تبين أن كل واحدة من المقدمتين خطأ فى العقل والشرع ، وأنه لا يجوز أن تتوجه القلوب إليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات ، سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره ، وسواء كان محيطاً بالفلك كروى الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كروياً ، وسواء كان الخالق سبحانه محيطاً بالمخلوقات كما يحيط بها فى قبضته أو كان فوقها من جهة العلو منا التى تلى رؤوسنا دون الجهة الاخرى.

فعلى أى تقدير فُرِض به كان كل من مقدمتى السؤال باطلة وكان الله تعالى إذا دعوناه بقصد العلو دون غيره كما فُطرنا على ذلك ، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال من وجوه متعددة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

(١) سورة الزمر الآية ٦٧ .

فهرس الكتاب

دار ابن خلدون
للنشـــر والتوزيـع
الاسكندرية ـ ت ٤٤٤١٠٦٨ ـ ٤٤٥٩٧٢٣